

بيانة الإحفاف

شعر : عبد الرحمن الكبلوتي

- 1 - تهفو النفوس لغادة رِيَّانهُ
وتروم نفسي أن ترى سليانهُ
أتِي إليها جَنَّة علوية
بالخير دوما والعطا ملآنهُ
إبداعها جاز الأقصي في الحمى
تشدو بالحن الهوى رنَانهُ
”إتحافها“ غمر القلوب نشيدها
وبوشي هذا الملتقى مزدانهُ
- 5 - يا ابن الضياف أفتك أحفاد الوفا
بخمور سحرك في اللحمى نشوانهُ
فاسمع نشيد بلابل صدَاة
وانشق عبيرا فاح من ريحانهُ
برقو يفوح مع الكريب ومكث
والرَّوح في رُوحِيَّة هيمانهُ
هذي المجلة تحفة أدبية
قد أدركت عشيرة فتَانهُ
فأنا جميل عاشق لبثينة
وأنا النّوَاسِي أَحِبَّ جنانهُ
- 10 - أرجو لقاءها كلَّ شهر مرّة
فتعيش نفسي باللقا فرحانهُ



وأضيق إن غابت ، وألقى حرقه
 فتظل نفسي بالحفا غضبانة
 ويشدني نحو الأصالة حرفها
 وإلى التسامح دائما لهفانة
 13 - فيها من الوطن الحبيب ثقافة
 وكذاك أقلام بها فنّانة

جوانب خفية من حياة الأديب المفكر المغفور له البشير المجذوب

بقلم الأستاذ : عبد العزيز المجذوب

أتقدم في البداية بالتحية والإكبار للحضور الكرام سادة وسيدات ، أساتذة وطلبة ،
خاصاً بالذكر منكم من أسند إليه حق الإشراف على هذا الحفل البهيج والندوة
الفكرية جناب السيد معالي وزير الثقافة حفظه الله .

أتقدم بالتهنئة بعد هذا إلى مجلة « الإتحاف » الغراء التي تطفئ اليوم شمعها
العاشرة متأهبة في همة لمتابعة مسيرتها ونشر إشعاعها في عالم الفكر والثقافة
والبحث في ربوع وطننا الحبيب . أكبر صديقي وزميلي المحترم مدير « الإتحاف »
ورئيس تحريرها ، الحريص بعزم لا يني على أن يجعل منها محط الأنظار ، ولهف
الأفكار ... فكانت ، ويكفيه ومحروبيها والمشرقيين على حظوظها فخراً أن « الإتحاف
» تتحف أهل هذا الزمان بالجديد والطريف من الأبحاث والدراسات والتحقيقات
في العديد من المجالات . وأحسب هذه المجلة الغراء اليوم يتيمه دهرنا ووحيدة
زماننا .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أيها السادة الكرام

قد أفاجتكم إن قلت إن المغفور له البشير المجذوب الذي تحيون ذكرى وفاته اليوم
وأنتم تكرمونه بالحديث عنه وعن أسلوبه وعن خصائص فنّه الأدبي وإبداعه ... إن
البشير المجذوب الذي يعدّ أحد فحول العربية في العصر الحاضر ما كان له ما
يهينه لذلك ، ويرشحه ليقعده المنزلة التي بلغها في عالم الأدب تنوّقا وكتابةً وتفنّنا
وإبداعا .

قد يدهشكم قلبي هذا ، وفي كلمتي المتواضعة التي شرّفت بالمساهمة بها في
ندوتكم هذه ما قد يزيل الدهشة ، وما قد تكون فيه العبرة لهواة الأدب ولن
يطمحون إلى إمتلاك ناصية الأدب الأصيل .

* * *

التحق الفتى بالمدرسة الابتدائية سنة 1929 ، وهي من المدارس التي كانت

تسمى في ذلك العهد Ecole Francoarabe ، ونصيب اللغة العربية ضمن موادها كان هزيلاً وشيئاً لا يكاد يذكر ، ثم تخرج منها في سنّ الحادية عشرة إلى معهد كارنو Lyce Carnot ومناهج التعليم بهذا المعهد - كما هو معلوم - تختلف عما هي عليه بالمدرسة الصادقية في ذلك الزمان لهذا كان نهج الفتى في هذا المعهد علمياً بعيداً كل البعد عما هو عربي أو عما له صلة بالأدب .

وكان في نيّته ومقرراً عائلياً أن يسافر إلى فرنسا لدراسة الطب بعد إحرازه على شهادة البكالوريا من المعهد المذكور ، إلا أن أحداث الحرب العالمية الثانية وظروفها ووفاة والده أثّرت في نفسه بالغ الأثر وأضاعت من مسيرته الجامعية سنتين أو أكثر . وتيسّر بعد ذلك أن يلتحق بكلية الطب بالجزائر وكان ذلك سنة 1944 لكنّه سرعان ما رجع إلى أرض الوطن خائباً فلا الظروف الأمنية ولا الظروف المادية - إنضافت إليها ظروف صحيّة متدهورة - كانت مواتية ولا مساعدة له على تحقيق رغبته .

ولما وجد نفسه في فراغ ، عاطلاً عن العمل وعن الدراسة بحث عن شغل يرتزق منه ويعول به أسرته ، فاندرج في سلك القيمين بأحد المعاهد بتونس ثم بسلك الكتبة . وكانت الفرحة يوم أن عين معلماً منتدباً بالتعليم الثانوي لتعليم العربية .

لكن كيف سيتسنى له ذلك وهو لم يدرس العربية ولا أدابها الحقيقة إنّه وهو يزال تعلمه بمعهد كارنو كان يطالع العربية وقد شغف بها بعد ذلك أيّما شغف بحكم بيئة خاصّة أنبنته وسط عائلي متميّز . فكان أن تعلم العربية بنفسه ولم يتلق أدابها وفنونها عن شخص ما أو في جامعة ما .

* * *

المهم أيّها السادة الكرام أن إنطلاقته مع العربية بجدّ وعصامية كانت يوم عين لتدريسها . فادّى الأمانة ووفّق في أداء الرّسالة . إنّه اليوم يدرّس ويدرس بحثاً عما يرتقي به إلى خطة الأستاذية . وشارك لتحقيق الغرض في بعض المناظرات دون جدوى . فالشهادة المرشحة لذلك وكانت تسمى شهادة الكفاءة يدخلها العشرة أو العشرون من المتناظرين ليفوز منهم واحد أو إثنان ... فبقي على ما هو عليه إلى كانت سنة 1951 السنة التي ترك فيها إبنته له وزوجه الحامل ملتحقاً ب Exen

Provence بفرنسا يدرس اللاتينية كشرط لإحرازه على الإجازة مع الآداب الفرنسية .. وعاد بعد ذلك غانما ظافرا .

* * *

أقبل بعد ذلك على التدريس بنفس جديد ، وعلى الدّراسة بشغف مستزید ، وكان أن انكبّ على الأدب العربي يدرسه ويغترف من مناهله ، فعایش تراث الجاحظ وقتل حيوانه بحثا وتمحيصا ، وأغرق في الإصغاء إلى أغاني أبي الفرج ، والإهتمام بما يتمتع ويؤنس من آثار أبي حيان ، وتوقف طويلا عند أمثال ابن المقفع وحكمه معتبرا مستلهما ...

ثم إنّه يلقي نفسه وجها لوجه مع القرآن الكريم ، فتلاه وأعاد تلاوته مرارا ، وحفظ منه ما تيسر مأخوذا بإعجازه البياني معجبا بأسلوبه الفريد ، مبهورا بفنّه الذي لا يرقى إليه إبداع كاتب ولا تعارضه مقالة قائل ... كلّ هذه العوامل كان لها الأثر الواضح في أسلوبه ووسمت كتابته السّعة التي تعرفون ، وبوّأته مكانا عليّا مكّنه من الإحراز على شهادة التبريز وهو في سنّ الكهولة لا الشباب ، ومن اعداد رسالة الدكتوراه التي لم نقاّش بحكم بلوغه سنّ التقاعد ومغادرته كرسيّ التدريس ، التدريس الذي عشقه ولم يغدل عنه إلى سنواه

* * *

أيها السّادة الكرام ! إنّ خشية الإطالة تجبرني على التقصير . فأرجو أن أكون قد نجحت في الإشارة إلى عصامية هذا الأديب والمفكّر الغدّ ، وإلى كفاحه الطويل في مجال الأدب مبتدئا ببضاعة مزجاة مخلّفا تراثا من النفاسة بمكان .



الحركات اللامامية بأروبا في العهد المعاصر وانعكاساتها على الوضع بفلسطين

بقلم : الأستاذ علي الهمامي

عرفت أروبا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تغييرات اقتصادية واجتماعية سرعان ما كان لها بالغ الأثر على بعض البلدان الأخرى ومنها بالخصوص فلسطين .

وفي سنة 1873 عاشت البلدان الأروبية ومنها فرنسا وبريطانيا أزمة اقتصادية نتيجة الكساد الذي أصاب تجارتها بحكم تقلص السوق الداخلية بعد قيام بلدان أروبية أخرى بثورتها الصناعية مثل ألمانيا وإيطاليا . وكحل لهذه الأزمة فكرت البلدان الأروبية في غزو البلدان المتخلفة لكي تجعل منها سوقا لترويج بضائعها ومصدرا للمواد الأولية التي تساهم على إنماء صناعة فرنسا وبريطانيا . فظهرت إذ ذاك الحركات الإستعمارية فاحتلت فرنسا الجزائر سنة 1830 وتونس 1881 واحتلت بريطانيا مصر والسودان سنة 1883 . وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى بسنوات قليلة 1920 كانت جلّ الأقطار العربية مستعمرة سواء من قبل فرنسا أو بريطانيا أو إيطاليا ليبيا 1911 .

كانت أروبا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تكتسح العالم لغزوه ونهب ثرواته لتيسير إستمرار ثورتها الصناعية في هذا الظرف بالذات كانت أروبا تعجّ بالحركات الفكرية سواء منها المؤيدة للسياسة التوسعية الأروبية والتي صورت الإستعمار على أنّه خلاص للشعوب البربرية وانتشال لها من بلاءة الحياة القروية نحو الحضارة ، ومنها لحركات المناهضة للإستعمار وللنظام الرأسمالي وهي الإشتراكية العلمية التي وضع أسسها ماركس وإنجلز . كان الإشتراكيون يرون أنّ النظام الرأسمالي الإستعماري نظام ظالم مبني على استغلال الشفيلة واستغلال الشعوب الأخرى المتخلفة إقتصاديا وإلى جانب هذه الحركات الفكرية

ظهرت حركات أخرى ناتجة عن تناقضات المجتمع الأوروبي نفسه الذي احتوى على بعض الاقليات التي صعب عليها الاندماج داخل المجتمعات الأوروبية لأسباب تاريخية من هذه الأقليات اليهود ومن هذه الحركات : الصهيونية والنازية والفاشية والاسامية . كل هذه الحركات كانت إفراراً للمجتمع الأوروبي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وكان لها عميق الأثر في أوروبا وكذلك في بقية أنحاء العالم .

وما يهمنا هنا هو دراسة الحركة الاسامية وانعكاساتها على الوضع بفلسطين . فكيف ظهرت هذه الحركة ؟ وماذا كانت نتائجها ؟

عند الحديث عن الحركة الاسامية لابد من وضعها في الظرفية التاريخية التي وجدت فيها وربطها بوجود اليهود في أوروبا الاسامية حركة مناهضة لوجود اليهود في المجتمعات الأوروبية ترى أن اليهود عنصر غريب على أوروبا ويجب التخلص منهم وأسباب ظهور هذه الحركة عديدة منها بالخصوص انعزالية اليهود . عاش هؤلاء بأوروبا منعزلين في إحياء تسمى 'الجيتو' Ghetto باليهود وهذه الإحياء خاصة باليهود ووجدت بكثرة في أوروبا الشرقية وترجع أسباب انعزالية اليهود إلى أسباب دينية إذ أن الدين اليهودي يؤكد على أن اليهود هم شعب الله المختار ولا ينبغي أن يختلطوا بالأجناس الأخرى فغير اليهود يسمون 'الغيار' وجاء في التوراة إذا دخلت إلى بلاد أجنبية فلا تتزوج منها وتنفيذا لهذه التعاليم سعى اليهود أينما حلوا إلى عدم الاختلاط بالأجناس الأخرى . وهناك أسباب إجتماعية ساعدت أيضا على هذا الإنعزال وهو تركز اليهود في القطاع التجاري والحرفي وهذا القطاع يسمح باقترب متعاطيه والتفافهم حول بعضهم البعض عكس النشاط الزراعي الذي يفرق السكان ولا يجمعهم . وهذا الإنعزال سبب لهم كراهية الشعوب الأوروبية لهم إذ أنها تعتبرهم دائما غرباء خاصة الثورات بعد أن فشلت الثورات البرجوازية في دمج اليهود داخل البلدان التي يعيشون فيها ، فقد سعت الثورة الفرنسية مثلا إلى إدخال التلاميذ اليهود إلى المدارس والكليات لكن الجناح المحافظ المتمسك بالخرافات الدينية عرقل هذه الإصلاحات وكان يدعو دائما إلى ضرورة دراسة التعاليم اليهودية كما جاءت في التوراة وكان رجال الدين من

اليهود يعارضون فكرة فصل الدين عن الدولة . ونتيجة لهذا كانت بعض الفئات الأوروبية تنظر إلى اليهود بعين الحقد والكراهية لأنهم رفضوا الإنصياح ورفضوا التأقلم مع متطلبات الحياة العصرية وترجع أسباب كراهية اليهود أيضا إلى تمركزهم في القطاع المالي لقد اختص اليهود بالإنتماء لقطاع المال دون غيرهم لأن التجارة في العهد القديم والعهد الإقطاعي كانت من خصائص الأقليات الأجنبية لأنها تحسن التحديث بالعديد من اللغات ولأنها لا تملك الأرض كي تمارس الزراعة ، لذلك تمركز اليهود في هذا القطاع زمنا بل قرونا طويلة . وكانوا يعيشون من ممارسة التجارة وبعض الحرف قبل قيام الثورة الصناعية دون مشاكل لكن بداية من القرن السادس عشر بعد ظهور الطبقة التجارية الفتية بعد اكتشاف أمريكا 1492 وطريق الهند الجديدة تدهورت حالة اليهود وأصبحت تجارتهم كاسدة نتيجة المزاخمة الأوروبية وكان التجار الأوروبيون ينظرون بعين الحقد إلى اليهود وهذا ما ساعد على تغذية روح الكراهية لهم ونشوء الحركة الاسامية ، أمّا عامة الشعب الأوروبي فكانت هي الأخرى تكره اليهود لأنهم كانوا يمارسون الربا وإلى جانب تمركز اليهود في القطاع المالي وما سببه لهم من مشاكل ظهرت صراعات دينية ، إذ أن المسيحيين يعتقدون أن اليهود هم الذين صلبوا المسيح ولهذا لا بد من طردهم من أوروبا باعتبارهم أعداء المسيحية .

وكانت البرجوازية الأوروبية الصاعدة تغذي هذه الصراعات لتتلخص من مزاخمة رؤوس الأموال اليهودية . ومما زاد في كراهيتهم هو انضمامهم لبعض الحركات الثورية بأوروبا وهذه الحركات كانت تهدد البرجوازية الأوروبية الصاعدة ومن بين اليهود الذين شاركوا في الحركات الثورية ماركس وإنجلز وروزا لسكتنبورغ بألمانيا كذلك شارك اليهود الروس في إغتيال أب الكسندر الثالث الذي قام بمذبحة لليهود في روسيا سنة 1882 انتقاما لأبيه ، كل هذه العوامل وغيرها ساعدت على نمو الحركة الاسامية في أوروبا وقد سعت الطبقة البرجوازية الصاعدة إلى تأجيج الصراع وتنمية التناقضات بين الجالية اليهودية والجالية الأوروبية بل والشعوب الأوروبية : كما قامت حكومات بعض الدول الأوروبية بمذابح ضد اليهود خاصة في بلدان أوروبا الشرقية التي ظهرت فيها الحركة الاسامية

أكثر من أوروبا الغربية مما اضطر العديد من اليهود للهجرة نحو أوروبا الغربية وأمريكا . كما قامت بعض بلدان أوروبا الغربية باضطهاد اليهود وتقتيلهم خاصة في ألمانيا النازية في الثلاثينات من القرن العشرين وأثناء الحرب العالمية الثانية . بعد نمو الحركة الاسامية في أوروبا تولد رد فعل الجاليات اليهودية بأوروبا . لقد دعا اليهود إلى ضرورة الاندماج داخل الشعوب الأوروبية وإلى قبول الإصلاحات التي أدخلتها الثورات البرجوازية على حياة اليهود كما دعوا إلى ضرورة النضال لتحقيق مجتمع عادل يتساوى فيه اليهودي والمسيحي كما دعوا إلى نبذ الخلافات الدينية وقيام مجتمع لانكي ومن أنصار الاندماج ماركس في كتابه ' المسألة اليهودية ' أمّا الجناح الثاني من اليهود فقد فكر في حل ثان وهو ضرورة قيام وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين أو في أي كان آخر ودعاة هذا الحل هم الصهاينة نسبة إلى جبل صهيون بفلسطين فقد فكر هؤلاء في ضرورة قيام دولة يهودية في فلسطين للشعب اليهودي المضطهد وكانت فلسطين آنذاك كغيرها من البلدان العربية تابعة للإمبراطورية العثمانية التي بدأت تفقد قوتها أمام الزحف الأوروبي حتى لقبت بالزجل المريض . ففي سنة 1897 عقد المؤتمر الصهيوني الأول ببازل بسويسرا تحت رئاسة تيودور هرتزل (1860 - 1904) وقد دعا هذا المؤتمر إلى قيام وطن قومي لليهود في فلسطين أو في أي مكان آخر .

وقد سعى هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية إلى كسب تأييد الدول الأوروبية لمشروعه هذا وكذلك الإمبراطورية العثمانية ، فاتصل بالسلطان عبد الحميد طالبا منه بيع فلسطين لليهود إلا أن السلطان عبد الحميد رفض مشروعه وكان هرتزل غير راغب في قيام الدولة اليهودية في فلسطين لأنه كان لا يؤمن بأهميتها الدولية ؟ لأنه كان لانكيا وبعد وفاة هرتزل سنة 1904 قرر الصهاينة عدم التخلي عن فلسطين مع تغيير في أسلوب احتلالها الذي كان يعتمد في عهد هرتزل كسب اعتراف الدول العظمى واستبدال بالهجرة في فترات متفاوتة وفعلا بدأت الهجرة منذ سنة 1882 حيث وصلت الدفعة الأولى من المهاجرين اليهود الذين استوطنوا بعد شراء أراضي في فلسطين سواء في الإمبراطورية العثمانية أو من بعض العائلات الاقطاعية الفلسطينية . واستمرت الهجرة متأثرة بالوضع الدولي

وخاصة بأوروبا وقد انخفضت أثناء الحرب العالمية الأولى نتيجة قلة المواصلات وتفاقت بعد الحرب ثم تفاقت بصورة أكثر بعد احتداد الحركة اللاسامية في ألمانيا بالخصوص . ففي سنة 1933 ارتقى الحزب النازي إلى الحكم بألمانيا وكان من مبادئه كراهية الجنس السامي فبدأ يضيق الخناق على اليهود المتساكنين في ألمانيا فقد قام بإغلاق بعض المحلات التجارية وأحرق بعض المعابد اليهودية وكل هذه الأعمال ساعدت على هجرة اليهود إلى فلسطين فتكثفت الهجرة خاصة بعد المذابح التي قام بها الحزب النازي ضد الجاليات اليهودية بألمانيا .

وكان من نتائج هذه المذابح أن بدأ الأوروبيون يشعرون بعقدة الذنب تجاه اليهود لذلك سعوا إلى مساعدتهم على استعمار فلسطين وخاصة بريطانيا التي قدمت للصهاينة وعد بلفور منذ سنة 1917 . كما ساعدت الصهاينة على الاستيطان بفلسطين بعد احتلال الجيوش البريطانية لفلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى سنة 1917 فقد وفرت كل الضمانات للمهاجرين الصهاينة حتى قيام دولتهم المزعومة سنة 1948 على حساب الشعب الفلسطيني .

لئن تسببت الحركة اللاسامية في اضطهاد اليهود والتكثير بهم إلا أن الصهاينة قد استفادوا من هذه الحركة رغم كونها موجهة ضد الجاليات اليهودية بأوروبا . فقد استعمل هرتزل في كتابه " الدولة اليهودية " نفس منطق اللاسامية وهو أن اليهود عنصر غير قابل للاندماج في البلدان الأروبية كما أن البرجوازية الأروبية الصاعدة ورؤوس أموال اليهود الذين اندمجوا في المجتمعات الأروبية كان هؤلاء كلهم من أنصار الحركة الصهيونية لأن استعمار فلسطين يؤدي إلى فتح سوق خارجية لترويج البضائع والتخلص من ملايين اليهود بأوروبا .

أما الحركة اللاسامية فقد كان لها انعكاس سلبي على فلسطين خاصة وأنها وجدت الظرفية الاستعمارية وظرفية نشوء الحركة الصهيونية فقد كان من نتائجها أن استعمرت فلسطين واستوطن بها الصهاينة لكن رغم ذلك فإن الشعب الفلسطيني قاوم هذه الحركة الاستعمارية منذ الهجرة الأولى وحتى الآن إذ أن الدولة الصهيونية ما زالت قائمة وتجد الدعم والتأييد من قبل البلدان الرأسمالية الغربية . أن الحركة اللاسامية كحركة عنصرية موجهة ضد اليهود بأوروبا قد تولدت

عنها حركة أشد عنصرية وخطرا منها وهي الحركة الصهيونية التي استطاعت أن تفتصب فلسطين نهائيا سنة 1948 . هذه الحركة تزعم أنها حل للمسألة اليهودية لكن لم تكن بأي حال من الأحوال حلا إذ أنها فتحت جبهة للصراع مع العرب مما جعلها تسبب مشاكل للجاليات اليهودية في الأقطار العربية . كما أن عدد اليهود في العالم حاليا حوالي ستة عشر مليونا لا يوجد منهم إلا حوالي ثلاث ملايين بفلسطين مما يدل على أن الحركة الصهيونية لم تستقطب الأغلبية الساحقة من اليهود التي فضلت العيش في البلدان التي وجدت فيها . ومما لا شك فيه أن الحركة الصهيونية التي تزعم أنها نقيض للاسامية ليست إلا لا سامية جديدة موجهة ضد العرب %



ان ما انتقده بصورة عامة هو تلك الحروب التي يشنها المستقنون العرب بعضهم ضد البعض في العواصم الاربوية وهو الوضع نفسه الذي نعاني منه في داخل البلاد العربية.

رجاء النقاش

تاريخ القصص الشعبي في تونس

بقلم : خليفة الخيازي

*. مدخل :

يشبه الحديث عن القصص الشعبي اليوم عملية تشريح لجثة ماتت في ظروف غامضة . لذلك لا مناص من الإنماف بمختلف الملابس التي حاقت بهذا الفن فأدت إلى إندثاره ، قبل أن تعمل على تحليل بعض نماذجه التي مازالت راسخة في دهاليز الذاكرة الجماعية . وحتى لا يكون الكلام في هذا الموضوع من قبيل الوقوف على الأطلال ، ينبغي تحديد مجال البحث . وفي هذا السياق حصرنا مسألة « القصص الشعبي بين الأسس واليوم » في حدود تونس لنرصد المراحل الكبرى التي تشكل تاريخ هذا الفن ، وهي أربع مراحل : ما قبل الإسلام ، ثم من الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد الحسيني ، وتلك حدود التاريخ القديم ، ثم فترة الإستعمار ، ومن الإستقلال إلى اليوم وتمثل التاريخ الحديث . ولما كانت طبيعة الموضوع تقتضي منهجا تاريخيا ، وأمام غياب مكتبة جامعة للمادة المدروسة ، أصبح من الضروري اتباع سمت المؤرخين في ترصد التطور الحضاري لهذه البلاد لأن أي منجز لفظي في أي حضارة قامت لا ينفصل من حيث قيمته الفنية عن المنجز الإقتصادي والسياسي والإجتماعي ... فمثلما يفصح الجسر الصّامد منذ آلاف السنين عن عظمة الحضارة التي شيد فيها ، ينطوي القصص الشعبي أيضا على مميزات المجتمع الذي أنتجه ويعرب شكله عن البنية الفكرية التي ولّدت . بقطع النظر عن تأريخه للأحداث الكبرى التي نسج من سداها كالحروب والفن والجوانح الطبيعية وما إليه مما يتخلّد في الذاكرة الجماعية ويسم صيغها التواصلية بسماته .

1 . « هركات التعمير ومتغيرات التعبير »

1 . القصص الشعبي قبل الإسلام :

تجمع كتب التاريخ العربية وغير العربية على أن السكان الأصليين لشمال إفريقيا لم يشهدوا قبل إبحار الفينيقيين من صور حضارة تجمع شتاتهم وتوحد قبائلهم . بل إن بعض المؤرخين يعتبرون أن تسميتهم بالبربر ابتكرها الرومانيون من غربة لسانهم عن اللاتينية ثم اتسعت دلالة الكلمة لتعني الشعب الهمجي الذي لا ينضبط بأي ضوابط ... ومهما يكن أصل التسمية فإن طبيعة الحياة القبلية كانت تقتضي التصادم وتنازع مواطن العيش وهو ما يخلف في ذاكرة أفراد القبيلة أسماء الأبطال وتواريخ الإنتصارات والمغانم والإنكسارات ... وهذه الماثورات تتحوّل إلى نواة تنسج حولها الحكايات الحقيقية والأسطورية وتتداول في المجامع وتتوارث لتكوّن تراكما هو بمثابة السجل الحافظ الذي يوطد الصلة الدمية بين أفراد القبيلة الواحدة .

ولم يبدأ التاريخ لشمال إفريقيا إلاّ مع استقرار الفينيقيين وتأسيسهم حضارة قرطاج . وقد توخوا سياسة إقصائية ضد البربر باستبدال رموز عباداتهم وتبديد اجتماعاتهم وتسخيرهم لأشقى المهن حتّى إنهم لم يتركوا لهم من حق سوى حق الإنضمام للجيش للدفاع عن الحضارة الناشئة (1) . ولعلّ ذلك كان وراء تحالف قبائلهم النائية عن سلطة القرطاجنيين مع الرومان أثناء الحروب البونية . ولم يكن تشجيع الروم لهم على التمرد إلاّ من باب التحيّل للسيطرة على هذه الربوع الخصبة ، لأنّه حالما دان لهم شمال إفريقيا تعاملوا مع البربر بالطرق نفسها التي اعتمدها سابقوهم لكن بأكثر ذكاء ودهاء . فكانت سياستهم مزبوجة عمادها القضاء على الأصول القبلية للبربر بما أنّهم كانوا عماد القوة القرطاجنية بطريقتين : بمحاصرة المتمردين وسحق رموز قوتهم ثمّ بالتحالف الصوري مع المساندين لهم وذلك بتمكينهم من بعض الإستقلالية متمثلة في ترك الجنوب التونسي والجزء الغربي من البلاد خارج سيطرتهم المباشرة بحيث قامت نوميديا في المناطق الغربية النائية عن سلطة الرومان وتتداول السلطة فيها بعض الأقوياء من البربر . في حين سمّي الجزء الشمالي بإفريقية وألحق بالسلطة المركزية في روما . وتكرّرت السياسة نفسها مع الونداليين الإسبان ومع البيزنطيين الذين لم يستطيعوا إحكام السيطرة على البلاد طويلا وإن كانوا قد ساهموا مساهمة فعالة

في تمسيح أهل الشمال لتمتين صلتهم الروحية بروما . وحاول « جرجير » الإستقلال بالجنوب متحصنا بسيبيلة (646م) لكن سلطته ظلت متزعزعة حتى بلغه الفتح الإسلامي وهو على وهن عظيم .

هذه التحولات والحروب المتعاقبة تهدف كلها إلى تعمير شمال إفريقيا ، لكنها لم تبق من مقومات الإنسان البربري أي ملمح ولا من ثقافته أي شكل . بل أصبح نسخة مشوهة لأصل روماني هيمنت حضارته وطبعت الحياة بتقاليدها وعاداتها وطران عمارتها وطقوس عبادتها ... مع رطانة في اللسان ناتجة عن تأثر باللاتينية التي أصبحت لغة التواصل الأولى (2) . لا سيما وأن الحضارة الرومانية كانت حضارة مكتوبة لذلك نجحت في تحييد الثقافة الشفوية للشعوب الأصلية ، وطمس هويتهم ... وحفظت مدونات الروم التاريخية أخبار وقائعهم وأمجاد أبطالهم التي كان المؤرخ يسجلها على الميدان أحيانا . فنعرف من اليوم آثار شيشرون (3) على سبيل المثال أسماء القادة الرومانيين ومواقع حروبهم ووجهات حملاتهم ... ولا نعرف عن البربر سوى أسماء بعض قادتهم الذين تحالفوا مع الروم ولا نجد في مدونة هذا المؤرخ من وصف لحياة أهالي شمال إفريقيا سوى صور مستخفة لا تظهر إلا توحش البربري وشدة فزعه وسرعة انكسار شوكتة وخضوعه . لذلك تظل مثل هذه المصادر أحادية لا يمكن الإعتماد بما فيها مما يتعلق بموضوع هذا البحث . وإن كان لا مجال لنفي توفر النمط القصصي الموابك لحركات التعمير هذه والمتغير بتغيرها لأن القول لا ينفصل عن الفعل إذا تعلق الأمر بحوادث تتوقف على نتائجها حياة أجناس بشرية . ولو كانت لغة البربر مكتوبة لتركوا لنا ما يمكن به القياس والمقارنة لرسم الصورة الواضحة لشخصية البربري وتبين مستوى تفكيره وأشكال تعبيره وما تتوفر عليه من فنون .

2- نشأة الوظيفة القصصية : (من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الحسنية) .

لم تستطع كل تلك الحملات ولا تلك التغيرات الاجتماعية من اجتثاث الأصول القبلية للبربر . فقد ذكر المؤرخون أن حملات المسلمين على افريقية لم تجابه فقط من طرف البيزنطيين ، بل كذلك من طرف بعض القبائل القوية التي ظلت محافظة

على تماسكها مثل هوأرة ولواته ونفوسة ، ويفرن ونفزاوة ... ولقد ظلت سلطة العرب مهترزة من تاريخ دخول إفريقية حتى موئى القرن السابع الميلادي لحفاظة الروم على السواحل واعتصام البربر بالجبال . فلم تتم السيطرة على البلاد إلا بعد حملة حسّان بن النعمان (79 هـ / 698 م) (4) ومن ذلك التاريخ أمكن للمسلمين الإستقرار وبداية نشر ديانتهم وتبعاً لها طراز عيشهم ومعارفهم بتمهك كبير نظراً لما عاينوه من تأصل المعتقدات الرومانية وتجذر لغتهم حيث لا يجب التسرع في التغيير حتى لا يحصل الإرتداد . وإنما لابد من خطّ المدن وإنشاء الجوامع أولاً لتيسير جمع الناس وتسهيل حملهم على اعتناق الدين الجديد . (5)

ولقد جاء الفاتحون بنظرة جديدة لفن القصّ نابعة من صميم مصدر الرسالة الأول الذي وردت فيه قصص السالفين للإعتبار والإتعاض ... ليكرسوا الوظيفة الدينية على نقض الوظيفة التواصلية التي كان يفترض أن ينهض بها القصص الشعبي . فأصبح القصص الديني المدوّن والثابت سنده النمط القصصي الوحيد الأحقّ بالتداول بين الناس بشرط أن يتوفر فيه المفهوم الإسلامي ، وفي رائيّه جملة من الشروط الأخلاقية والمعرفية خصّها أبو الفرج بن الجوزي (510 - 597 هـ) بكتاب سمّاه « كتاب القصص والمذكرين » للتعريف بهذا الفن وتبيان حدوده وموجباته ومفسّداته وأهمّ أعلامه في المشرق والمغرب الإسلاميين . ويقول في مفهوم القصّ في الإسلام : « إن لهذا الفن ثلاثة أسماء : قصص ، وتذكير ، ووعظ . ويقال قاصّ ومذكّر وواعظ . فالقاصّ في الغالب عبارة عمّن يروي أخبار الماضين . وهذا لا يذمّ لنفسه لأن في إيراد أخبار السالفين عبرة لمعتبر وعظة لمزجّر واقتداء بصواب لمُتّبع . وقد قال الله عزّ وجلّ : " نحن نقص عليك أحسن القصص » (6) وفي هذا التعريف حصر لوظيفة القاص في الشرح والإبانة في سياق تعاليم الدين ونفي تام للخلق والتخيّل الذي يعدّه ابن الجوزي من مفسّدات القصّ . وهذا ما يجعل وظيفة القاص مشروطةً بجملة من المقومات هي نفسها التي يفترض توفّرها في الأئمة والفقهاء والمؤرخين . ومن هذه الشروط :

– كمال العلم (لأنه يسأل على كلّ فن)

– أن يكون حافظاً للحديث النبوي

- عالما بالتواريخ وسير السُف

- حافظا لأخبار الزهاد

- عالما باللغة العربية

- فصيح اللسان

- لابساً لمتوسط الثياب ليكون قدوة للناس

- متزهداً في دنياه متورعاً في سلوكه « مشتغلاً عن البدن بفضائل النفس »

- معتزلاً للعوام ليكون لكلامه وقع وهيبة

- أن لا يجتمع بالناس إلا بإذن الأمير أو الوالي (7)

ولئن كان المسلمون يبتغون من هذه الشروط القضاء على ما شاع في المشرق من قصص مزور لحقائق المغازي ومحرّف لأخبار الأنبياء والرسل مثل شيوع الإسرائيليات وإقبال العامة عليها ... ومنع نشوء قصص خيالي يخالط القصص الديني ، فإنهم بهذه الشروط قد ألحقوا هذا الفن ببقية المعارف الدينية التي هي حكر على المتفقهين في الدين وترفعوا بها عن عقول العامة التي ظلت مشحونة بالخرافات والأساطير والبطولات الخيالية من موروث ما قبل الإسلام في الشرق والغرب على حدّ السواء . ولا تتداول إلا في الأطر الضيقة خوفاً من تهمة الإرتداد المسطرة على الرقاب والمنذرة بأشدّ العقاب ... فكان حظ القصّ الشعبي أن استمرّ رغم النقلة الحضارية الجوهرية خبراً مستتراً متناقصاً كلّما ازدادت الثقافة العربية الإسلامية المكتوبة تجزراً وتعمّقاً .

ويحدّثنا ابن الجوزي عن قاصين من أهل المغرب هما عبد الله عمر بن اسماعيل المغربي . وقاص ثان لم يورد اسمه وإنما اكتفى بنسبته إلى القسطنطينية . لكنه لم يحدّد لنا أين نشأ ولا أين مارسا هذه الوظيفة ولا كيف اختصاً فيها (8) .

وفصل المقال في ارتباط القصّ بالدين أن كانت وظيفته هذه من بين أسباب القضاء على وظيفته التواصلية التي كانت تؤدّيها بلهجة معيّنة وفي إطار قبلي محدود والذي استبدله الإسلام بالهوية الدينية الموحّدة كسراً للتفرقة القبلية فتحوّلت مصادر الإعجاز من الأرض إلى السّماء فلم تعد الوقائع ولا الأصول العرقية هي التي تفرز الأبطال والشخصيات القصصية الخارقة للمعتاد بل أصبح

الله هو واهب المعجزات ينعم بها على من ينتقيه نبياً أو رسولا أو ذا كرامة اختص بها لشدة ورعه وتقواه .

ولقد عجل الشَّرطان الخامس والسادس بتبديد منجزات اللسان القديم التي خلَّفها البربر والرُّوم ، فلم يبق من ألفاظه إلا العدد القليل انبث في اللغة العربية معرباً (أي خاضعا لأقيسة كلام العرب) وبخيلاً (أي محافظا على بعض مقومات عجمته) لكنه محدود الفاعلية على مستوى التعبير .

لكن إذا عدنا إلى اتباع المراحل التاريخية للحضارة العربية الإسلامية بإفريقية نلاحظ أن تلك الشروط لم يتوفر لها المدى الزمني الكفيل بتطبيقها تامة . فالتغيرات السياسية والفتن وانشغال أولي الأمر بأخبار التوسُّع والمعارك العسكرية جعلهم يدرجون مسألة القصِّ والقصاص في سياق سياستهم للرعية . فمُنذ قيام النُولة الأغلبية (184 هـ) مرورا بتمكن الفاطميين الشيعة من الحكم (296 هـ) ، فحملة القبائل الهلالية على إفريقية ، واستقرار الوضع نوعا ما مع الحفصيين (627 هـ 982 م) حتى وصول العائلة الحسينية (1705 م) التي يمكن أن نعتبرها قد فقدت سلطتها بدخول الإستعمار ، تعامل الحكام مع القصاص حسب ما يمليه الوضع الداخلي للبلاد ، فإذا أنس الحاكم في نفسه القدرة على المسك بكل أزمة البلاد ، حاول تطبيق أحكام الشريعة على القصاص بتحديد أماكن قصصهم وردع المخالفين منهم ... وإذا دبَّ التملُّل في الرعية وظفَّ القصُّ لإلهاء الناس وامتصاص أسباب الفتنة ، فمع الأغلبية انتشرت أخبار المغازي والفتوح . ومع الفاطميين شاع القصص الممجَّد « للسيد علي » أي علي بن أبي طالب ناسبا إليه من الخوارق والمعجزات ما لم يتمتَّع به حتَّى الرسول نفسه (من ذلك قصة صعوده للسماء التي حاول بها الشيعة طمس حقيقة اغتياله) ومعاركه مع الجن والغيلان والتي مازالت تخلِّدها بعض الصور الحائطية المروجة في الأسواق الشعبية وقصة عفوهِ على (الكفرة) « الكافرين » بعد أن عزم على سحقهم وإبادتهم ... فكان الفاطميون بذلك أولَ حكام إفريقية الذين تغطَّنوا إلى ما يمكن أن يلعبه القاصُّ من أهمية في تحويل أنظار الرعية عن السياسة من خلال شغلهم بالخرافات العجيبة ، « هاتخلوه من سوسة حكومية شعبية وبنوا له ميخانات

الحشاشين بعدما نشروا الحشيش بتونس» (9) فظلّ القصد يتخلّى عن قداسته ويقترّب من الرعية فيزداد رواجاً . فهو كالمخدّر يمنعه نور النفوذ ويبثونه من جديد حسب مقتضى الحال . وقد مكنته شتى التوظيفات التي لحقتّه ، من استعادة جنوره الأسطورية والايغال أكثر في الخيال وامتزاج الحديث منه بالقديم (10) x

وفي العصر الحفصي استفاد القصّاص الذين استعادوا تقريباً مهماتهم القديمة في المجتمع ، من استقرار الوضع نوعاً ما وتسامح الأمراء للإنطلاق في القرى مروّجين لآلاف القصص ذات المراجع المختلفة يهودية ، وعربية مهاجرة ، وأندلسية وافدة ، وبربرية متوارثة ... ومثلما انعكس الهدوء السياسي على الثقافة المكتوبة فكان العصر الحفصي أوج ازدهارها ، بلغ القصص الشعبي قمة شيوعه وشعبيته وظل محافظاً على نسق سريانه ذلك في العصر الحسيني بل وزادت مصادره العجيبة عجباً خاصّة وأن بعض الحكام الحسينيين كانوا متسامحين جداً مع الأقليات غير العربية فسكتوا عن انتشار اللهجات المختلفة ولم يوقفوا موجة القصص الإباحي والمبتذل التي بدأت تستشري خاصة في الحواضر . وهذه الظاهرة شاعت في كل البلاد العربية ولعلّ جنورها تعود إلى القرن الرابع الهجري في المشرق حيث كان الصراع الفكري بين القوميات التي شملها الإسلام قائماً » وكان المحدث يحظى بشعبية عالية خاصّة إذا غلب على قصصه طابع الفكاهة والاستجاء على القيم السائدة» (11) .

والقصص الشعبي في هذه الفترة الثانية من تاريخه القديم ظلّ ينزع نحو استجلاء أحوال المجتمع كلّما تمكن من الإفلات من تشاريح الحكام . فما وصلنا من منجزات شفوية حاملة لعلامات تلك الحقب يمكن من خلاله تفحص البنية الفكرية العامّة التي كانت سائدة . فإذا كان الوضع مضطرباً ينتشر القصص العجيب بأساطيره وخوارقه وأحداثه الرهيبة المرعبة ... أمّا إذا هدأت الأوضاع واستتبّ الأمن فيظهر نوع مخالف من القصص يغلب على مضامينه الفحش والتصوير الساخر المستهزئ ... وهذا النمط الثاني هو في الحقيقة امتداد للأوضاع التي أفرزت النوع الأول لأن العدو والنقيض والمخالف في الرأي والمعتقد والمنحدر في السّجال الحربي هو الذي يكون عرضة للإستخفاف والإحتقار في

القصص الشعبي . إلا أن وصول مئونة هذا الجنس الأدبي إلى أيدي الباحثين في وقت متأخر واهتمامهم بها بعد عشرات القرون من أزمنة تكونتها جعلها تفقد الكثير من نضارتها وتشهد تحولا عميقا على مستوى عبارتها . خاصة وأن العودة الحقيقية لدراسة الماثور الشفوي لم تبدأ بدايتها إلا في القرن التاسع عشر الميلادي في إطار ثورة معرفية شاملة غيرت مفهوم الثقافة في العالم لا في البلاد العربية فقط .

* الثورة المعرفية المعاصرة وعودة الوعي بالثقافة الشفوية :

1 . القصص الشعبي خلال فترة الإستعمار الفرنسي :

يعد مصطلح الثقافة من أكثر المصطلحات التي أثارت جدلا عالميا في القرن التاسع عشر . وفي الوقت الذي كانت فيه النخب الغربية تنتظر لرؤية ثقافية جديدة وشاملة ، كانت البلدان العربية تسقط تباعا تحت الهيمنة الإستعمارية . فإذا كان أكثر التعريفات الحديثة للثقافة إثارة للنقاش ذلك الذي ذكره " إدوارد تيلور " (12) عالم الأنثروبولوجيا الإنجليزي في موفى العشرية الأخيرة من ذلك القرن ، حيث عرف الثقافة بأنها : « جملة معقدة تشتمل على مفاهيم ومعلومات وعقائد ، اشتغالها على الفنون والقوانين والأخلاق والأعراس على جميع بقية القدرات والعادات التي اكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع . » (13) فإن تلك الفترة تتوازى تاريخيا مع بداية إحكام السيطرة الإستعمارية الفرنسية على إيالة التونسية لتحويلها ككل بلدان المغرب العربي إلى مخبر تجارب ومصدر ثروات .

وفي إطار حملة الإكتشاف والبحث التي أصبحت تمثل سلوكا متوارثا عند الأوروبيين منذ اكتشاف كريستوف كولومب لأمريكا ، اهتم بعض الفرنسيين بالتراث الشفوي التونسي لغرضين : غرض ظاهر يتمثل في تحقيق ما لا يعرف الأهالي قيمته لأنهم في نظر المستعمر رهط بدائي ينبغي مساعدته على مواكبة التطور الحضاري ... وغرض مبطن هو ضرورة ضرب الثقافة العربية الفصيحة والمكتوبة والحذ من أهميتها باعتبارها أقوى ما يربط الشعب بهويته العربية الإسلامية المتجذرة . لكن وفق المثل القديم (رب ضارة نافعة) استفاد القصص الشعبي نسبيا من هذه العملية . فلأول مرة يشهد المغرب العربي حملة جمع وتصنيف للقصص الشعبي . وإن كانت عمليات الجمع فردية لا تخلو من اعتباط لأن القائمين

بها ليسوا من أهل الإختصاص . ومن نماذج هذه المحاولات ما قام بجمعه
لوسيان باي (L.Paye) الذي كان في الثلاثينات مديرا للتجهيز من جمع
لقصص الأطفال ونشرها على دفعتين : الأولى سنة 1949 والثانية سنة 1955
(14) وهي قصص ذات مصادر عربية مشرقية مثل قصص جحا ، والسحفاة
وبنت الجزار ... وأخرى محلية مثل قصة وادي البغلة وتروي خبر غرق بغلة
ابراهيم الأغلي . وقصة الولي الصالح سيدي منصور ومقامه بصفاقس ...

ومن الإكتشافات الفرنسية المثيرة للإنتباه أن الباحثين عثروا في المغرب العربي
على بعض المؤلفات مكتوبة بالعامية المحلية . وقد ادعى المحققون أن أغلبها من
مأثور القصصي البربري المتناقل عبر الأجيال . ونستدل على ذلك بكتاب طريف
حققه أحد المدرسين الفرنسيين بوهران الجزائرية إسمه بالعربية « جامع اللطائف
وكنز الخرايف (15) » حافظ على قصصه في لغتها وقابلها عند الطبع بترجمة
فرنسية . وقد احتوى الكتاب على صنفين من القصص الشعبي : صنف من نوع
القصص ذي البطل الواحد (بن صكران) وهي شخصية مرحة هي عبارة عن
جحا محلي من اختراع الخيال الشعبي القبائلي . والصنف الثاني من القصص
الشائع كثيرا حتى في تونس مثل قصة « أمي سيدي والذيب » وقصص هارون
الرشيد وغدر البرامكة وبعض القصص على ألسنة الحيوان على طريقة كليله ودمنة
فإذا قرأنا تلك الترجمة في سياق غايات كاتبها الإستعمارية من خلال تحريك
مشاعر الأقلية البربرية في الجزائر ، نفهم لماذا تجرأ الكاتب على تزوير حقائق هذه
القصص . فالعبارة المستعملة عربية وإن كانت لا تخلو من ألفاظ بربرية . وأغلب
القصص لها جنود عربية ومشرقية بصفة عامة . فإن لم تكن كذلك فإن أسلوب
حكايتها عربي جلي الملامح . وشخصياتها صدى لشخصيات طريفة يطنب العرب
عادة في نسبة الملح والنوادر إليها . ولعل روني باسي (R.Basset) كان أكثر
المستشرقين موضوعية حينما عبّر بصفة غير مباشرة عن مدى انصهار البربر في
الحضارة العربية . ففي سياق تحريره لمقالة (بربر) بدائرة المعارف الإسلامية
تحدث عن ترجمة بربرية للقرآن وألف ليلة وليلة ولدونة ضخمة من الأشعار
والقصص والأحاجي ... فإذا كان برابرة النصف الأول من القرن العشرين قد

تجاوزوا مرحلة استيعاب الحضارة العربية إلى مرحلة ترجمة مواد ثقافتها ، فإن الحديث عن موروث شفوي بربري منفصل عن الموروث العربي يصبح من قبيل الإدعاء والإصطناع مهما كانت المبررات . خاصة وأن الإستنتاج والتحليل لابد من أن يسبق بعملية جمع القصص في كامل المنطقة وتفحص دقيق وتصنيف ، وإلا أفقد الجهد المبذول إلى الصفة العلمية . (16) فماذا يمكن للباحث التونسي اليوم أن يستفيد من تلك المجامع ؟

إننا لا نجني سوى نسخ مشوهة من تراثنا . فما حفظه أرشيف دار الكتب الوطنية من تلك المصنّفات وتلك الدوريات التي كانت تصدر في تونس كالمجلة الفرنسية ، ومجلة تونس الفرنسية وغيرها ... لا يمكن الإعتماد بمحتوياتها لمواصلة البحوث إنطلاقاً منها لأنها وضعت بالأساس لخدمة غرضين استعماريين : الأول هو محاولة ترسيخ صورة الإنسان التونسي البدائي في إطار إحتفال الأوروبيين بعوالم البدائيين في أدغال إفريقيا لإثبات نظرياتهم وفرضياتهم العلمية . والغرض الثاني هو تحويل التراث الروحي للشعب الراحل تحت الإستعمار إلى مادة مخبرية جاهزة لتجريب المكتشفات العلمية الأخذة في التطور بسرعة شمال المتوسط . والتي ركزت كثيراً في مجال الأدب على القصص الشعبي خاصة بعدما صدر كتاب « مرقولوجيا الحكاية الشعبية في روسيا » لفلاديمير بروب (V Propp) أستاذ المعتقدات والأديان بجامعة ليننغراد سنة 1928 (17) هذا الباحث أسقط كل شك في قيمة القصص الشفوي من الناحية الفنية وجعله جنساً أدبياً قائماً بذاته اتخذ مصدرًا لوضع اللبنة الأولى للمنهج الشكلي الذي عرف بعدئذ بإسم البنيوية في أوروبا والذي مازال إلى اليوم معتمدا في الدراسات الأدبية عالميا .

فللقصص الشعبي إذن ، كان فضل الريادة في إلحاق الآداب العالمية بمختلف الفنون التي أصبحت تستفيد من العلوم استفادة مباشرة ، وكان جزاء هذا الجنس الأدبي بعد استكمال نمو المنهج ، الإهمال والإبادة خاصة في البلاد العربية حيث سارع الباحثون إلى تبني أطروحات البنيويين في منتصف هذا القرن دون إيلاء أدنى اعتبار للتراث الشفوي الذي انبثقت منه تلك الأطروحات .

أما في تونس فقد تنزل هذا الفن في إطار النضال ضد سياسة الفرنسة عند

بعض المفكرين الوطنيين ، ومن هؤلاء الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب (1884 - 1968) الذي كان : « من الرواد الذين أيقظوا الشعور وأحيوا النفوس وحفّزوا الهمم ... وحجّة في شؤون العادات والتقاليد ومثالا للباحث المدقق » (18) والأستاذ عثمان الكعّك الذي تولى خطة محافظ المكتبة العربية (1944 - 1956) . ويطلق هذا الأخير على القصص الشعبي اسم الملحّة ويعرفها بأنّها : « قصّة مطوّلة فيها عجائب وغرائب وبطولة ومناقب وأعمال جهادية خارقة للعادة » لكنّه بتقسيمه الرّباعي لأنواع القصص في تونس (قصص أيام الجاهلية / الغزوات الإسلامية / ملحمة بني هلال / المطولات مثل قصة الشريف بن هاشم) ينفي بصفة لا مباشرة وجود ملاحم تونسية أصيلة . وإن كان في حديثه عن الحكايات يؤكد أنّ مختلف الأجناس التي عاشت في تونس خلّفت حكايات شعبية . ويسمّيها قصصا خيالية شعبية . (19) ويمكن أن نلحق بهذين الباحثين عبد العزيز العروبي الذي قدّم خدمة إعلامية جليّة لهذا الفنّ منذ تولّيه القسم العربي بالإذاعة التونسية سنة 1949 .

نصل بختام هذه المرحلة إلى أن تاريخ القصص الشعبي في تونس كان عرضة للتزوير والتشويه والتجديد في مجمل مراحلها ، أفاد في كل المراحل ولم تنصفه أيّ مرحلة تاريخية . فالقداى نفوه والعرب وظفوه دينيا وسياسيا والإستعمار حارب به الهوية العربية ... فكيف تعامل الباحث التونسي مع هذا التراث الفني منذ الإستقلال إلى اليوم ؟

2. راهن القصص الشعبي : إنكالية الجمع والتصنيف :

حينما بدأ الباحث التونسي يسترجع مجالات إهتمامه إثر الإستقلال كانت مسألة القصص الشعبي في أوروبا قد تقدمت أشواطا كبيرة . فقد تمّ العثور على أقدم حكاية في العالم (حكاية الأخوين عثر عليها في مصر وتعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد) وجمع كل ما وصلت إليه أيدي الباحثين في مجلدات وتحدّثت مناهج التّصنيف وطرق الجمع مما مكّن من تحصيل مدوّنّة شفوية ضخمة احتلت بين مختلف أصناف الأدب الشعبي مكانة مرموقة وثابتة باعتبارها « العبارة الأكثر نضجا بين كل ضروب السّرد الشفوي » . وبما أنّها تمثل أهمّ مدخل لمجموعة

كبيرة من المباحث الحديثة : علم المعتقدات ، علم الأديان ، الأنثروبولوجيا ... ما زالت المؤسسات المختصة تشجع على مزيد التحريّ والبحث حتّى لا تقضي الحياة الإجتماعية الإستهلاكية على هذا المخزون الثري والهش أمام مقتضيات الحياة المعاصرة (20) .

في هذا الإطار يمكن إعتبار أقدم محاولة اهتمام بالتراث الشفوي بعد الإستقلال هي تلك الجهود التي بذلها الأستاذ محمد المرزوقي الذي قدّم للتراث خدمات جليلة ، وإن كان دافعه إلى ذلك ليس الوعي بالأهمية العلمية لهذه المادة وإنما من قبيل الحنين لمواطن صباه ومحاولة منه لتقديم خدمة للربوع الريفية التي نشأ وترعرع فيها قبل انتقاله إلى العاصمة (21) . فكان كتابه « مع البنو في حلّهم وترحالهم » عبارة عن سيرة ذاتية جماعية لأهالي الجنوب التونسي مرتبة حسب عمر الإنسان (الطفولة - التعلّم - اللعب - الزواج - المعتقد ... الموت) خاتمة بعرض لآثار البنو وصناعاتهم وجملة من الأحاجي والأساطير المتناقلة . وقد خصص الفصل الأوّل من الأدب الشعبي للقص الشعبي ، وأهمّ ما في الفصل محاولة تصنيف أنواع القصّ الشعبي الذي يطلق عليه اسم الأسطورة - موضا عن مصطلح الحكاية الشائع يومئذ - إلى سبعة أنواع (الأسطورة الإجتماعية - السياسية - البطولية - العقائدية - التاريخية - الأدبية ، وأساطير الأطفال) (22) باعتماد المضامين ، إلّا أن المضامين جعلته يغفل المصادر إغفالاً يكاد يكون كلياً . فلم يتفطن إلى أن هذه الأنواع الشعبيّة ماهي إلّا قصص تاريخية ، وإنما تختلف فقط من حيث مصادرها والحقب التي انتجت فيها . لكن يبقى له فضل الريادة في استعادة البحث في هذا الإتجاه . أمّا تركيزه على الشعر أكثر من القص فلم يكن وحده الذي نحا ذلك المنحى . بل إنّ الشعر ظلّ دائماً مبحث أهل الإختصاص الأوّل . ولعلّ ذلك يعود إلى نظرة متوارثة تعتبر القصّ من ترويح اليهود ومضامينه فسق وفجور تستوجب الأخلاق السكوت عنه .

إلّا أنّنا بدأنا نلاحظ في العشريتين السالفتين ظهور أولى البحوث الأكاديمية حول القصّ الشعبي وأهمّها من حيث الإجادة والإفادة كتاب الدكتور عبد الوهاب بوحديبة : « المخيال المغاربي » (23) وهو دراسة باللسان الفرنسي لمجموعة من قصص

الأطفال . ولئن مكنته الكتابة بهذه اللغة من تجاوز إشكالية المصطلح (حكاية - حنونة - خرافة - أسطورة - قصة ...) فإنها قد مكنته أيضا من الوقوف على أهمية هذه المادة في المجتمع . فالقص يعني دائما « خلق أشكال تواصلية جديدة وإس إعادة لأشكال ثابتة » (24) وأن ندرس القصص الشفوي يعني أن نستكمل البحث في الجذور التاريخية للشعب (25) . أما فيما يتعلق بالدور التربوي الذي يقوم به القصص الشعبي من حيث توطيد العلاقة بين الأم والطفل فإنه يصبح عاملا من عوامل تكوين الشخصية المتوازنة وتأهيلها لتتأصل في مجتمعها : (Facteur Important de socialisation) (26) ويرجع تلك الصيغ المتواترة في فاتحة القصص (كان يا ما كان في قديم الزمان) إلى الأسطورة التي تعرف العالم على أنه بدء أزلي (Eternel Recommen- ment) هذا إذا درسنا القص من حيث شكله (27) حيث توغز تلك البدايات المتكررة بالزمن المطلق والخارج عن حدود العالم الإنساني ، وقد ختم بوحديدية كتابه بصيحة فزع إزاء ضياع هذا الإرث الثمين في عصر أصبحت تهيم فيه الصورة على العبارة ، وتفصل فيه الصور المتحركة المستوردة الطفل عن أمه ، محذرا من الشاشة التي تصنع الإنسان المنفرد الصائمت المستهلك دون إختيار للخطابات الجاهزة وهي تقتل فيه بصفة خفية ملكة الخلق وابتكار أشكال التواصل ... يحدث هذا ونحن « نرى الكنز يضيع ويستحيل إلى خطاب منسي » (28) .

وقد يكون ما لقاء هذا الكتاب من رواج هو ما حفز بعض أساتذة الجامعة على دخول هذا الميدان من خلال الإشراف على طلبة اختاروا البحث الميداني في جهات محدّدة هي عادة أماكن ولادتهم . ونستدلّ على ذلك ببحثين : الأوّل قدمته فوزية مدّاني لتليل شهادة الكفاءة في البحث بإشراف الأستاذ حسن الصّادق الأسود ، وهو بحث يطمح للإستفادة من المناهج الحديثة في دراسة بنية الخرافة التونسية وعلاقتها بالمدلول الإجتماعي (29) وقد اختارت هذه الباحثة تسمية القصص الشعبي بالخرافة لشيوع هذه التسمية في نظرها . وثاني البحثين رسالة ختم الدروس بالمعهد العالي للتنشيط الثقافي إهتم فيها فوزي بن قيراط بدراسة « القيم في الحكاية الشعبية بجرية » وأشرف على هذا البحث أبو القاسم محمد

كرو . معتمدا على مدونة تتكوّن من ثلاثين قصة .

والجامع بين الباحثين أنّ صاحبيهما حاولا قدر الإمكان الإستفادة من نظرية المنهج الشكلي وبالأخص كتاب فلاديمير بروب . لكن رغم مرور أكثر من ستين عاما على صدور هذا المرجع مازال القصص الشعبي في تونس يبحث عن تسمية قارة له . فهو أسطورة عند محمد المرزوقي ، و Conte عند بوحدية ، وخرافة عند فوزية ، وحكاية عند فوزي ... أضف إلى ذلك أنّ هذه البحوث الجامعية تهدف إلى تدريب الطلبة على مناهج البحث أمّا موضوع البحث فمسألة ثانوية ، ولا نتوقع من هذه الجهود الفردية أن تحقق نتائج كبرى أو أن تحل إشكالية ضياع المخزون الشفوي لأنّ هذا الموضوع يحتاج إلى فرق عمل موزّعة على كامل البلاد تشرف عليها مؤسسة مختصة مثل المعهد العالمي للتنشيط الثقافي أو المصلحة المختصة بوزارة الثقافة ... لأنّ التحاليل الجزئية لا يمكن تعميم نتائجها . ولأنّ الجمع لا بدّ أن يسبق التصنيف مثلما يجب أن تسبق ذلك مرحلة الدراسة واستخلاص النتائج التي تأتي بعد استكمال كل المراحل السابقة .

خاتمة : ARCHIVE

توخّينا في دراسة القصص الشعبي منهجا تاريخيا يشدّنا إلى المراحل التاريخية الكبرى التي مرت بها تونس قبل الإسلام وبعده . ثم خلال أكثر من نصف قرن من الإستعمار وخلال ما يقارب أربعين سنة بعده لأنّه لا مجال لفصل تاريخ أيّ جنس أدبي عن البيئة التي نشأ فيها أولا . وثانيا لأنّ موضوع هذا البحث ظاهرة ثقافية ليست محققة ولا مصنفة . وإنّما نجازف بالحديث عن تاريخها انطلاقا من فرضية أثبتتها بحوث النّول المتقدمة في هذا الميدان مفادها أنّ الذاكرة الجماعية لا تخلو من القص باعتبار التلفظ وجها من وجوه التفكير . والتفكير مشروط بالتدبّر . ووجود الإنسان على الأرض وسط مجموعة بشرية كيفما كان مستواها الحضاري مضطرا إلى تدبّر أمر معاشه ومقامه واتصاله بغيره ... ومن تداخل هذه الضرورات ينسج القصص والأمثال والألغاز والخيالات الشاعرة وغير ذلك معاً يجتمع تحت إسم الأدب الشفوي في مقابل الأدب المكتوب . وهو جانب هامّ وثير لا يمكن الحديث عن ثقافة أيّ شعب دون ذكره . فإذا نحن أهملنا هذا الجانب يعني أنّنا أكلنا نصف

تراثنا ونحن في منتصف طريق التمدن والإستهلاك ، ولا نعرف عن النصف الآخر إلا الشيء القليل ... وهذا الوضع يحتم على كل جهة مسؤولة أو فرد مهتم بطبيعة تخصصه أن يضم جهده وكل ما يمكن أن يقدمه إلى التوجه الجديد والمتطور الذي تنتهجه سلطة الإشراف اليوم حيال المسألة الثقافية وهو توجه يسعى إلى تحقيق التوازن الثقافي بالتوازي مع التوازن التنموي حتى يدخل الإنسان التونسي الألف الثالثة من تاريخه بخطى ثابتة ، وشخصية واعية . (31) /.

الإحالات:

- 1 - لمزيد الإطلاع على حياة البربر في خضم حملات الغزو المتتالية يمكن مراجعة الفصل الأول من كتاب : د . عبد الواحد ذنون طه - الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس - ط / منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق 1982 .
- 2 - لتوضيح هذا الإنصهار الحضاري الذي استمر حتى الفترة الأولى من حكم الأمراء الأغالة يراجع :
- Henri Fournel Les berbes etude sur la conquete de l afrique par les arabes ... T . 1 - Chap . 4 et l introduction du 2 livre ed lerous . imp nationale Paris 1875 . 1881 .
- 3 - نشير بالأخص إلى جزئين من الأعمال الكاملة للمؤرخ الروماني شيشرون :
ciceron oeuvres completes traduction nouvelle ed paris 1829 -
18379 dialogue de lamitie vol . 33
du g ouvernement vol . 34
- 4 - دائرة المعارف الإسلامية (مادة إفريقية) - المجلد الثاني - ص 337
- 5 - من مظاهر تمهل العرب في نشر معارفهم ومعتقدهم ، ما يرويهِ حسن حسني عبد الوهاب في الجزء الأول من كتابه « وراقات في الحضارة العربية بإفريقية » عن « بعض الأمراء الأغالية كانوا يحسنون اللسان اللاتيني - ص 200 » . كذلك لم يغير موسى بن نصير سنة 85 هـ العملة البيزنطية التي وجدها متداولة تغييرا كلياً بل حوّر شكل الصليب وغير معاني الحروف المنقوشة عليها من تمجيد الامبراطورية إلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له
Non Alius Socius Non Cui Deus Solus Sisi Deus Est
- انظر الجزء الثالث من الكتاب
- 6 - أبو الفرج بن الجوزي : كتاب القصاص والمذكرين - تحقيق مارلين سوارتز - ط دار المشرق - بيروت 1986 - ص 9 - 10
- 7 - المرجع السابق - ص 27

8 - المرجع السابق - ص 86

9 - عثمان الكعاك : التقاليد والعادات التونسية - ط 3 الدار التونسية للنشر 1981 - ص 6

10 - يمكن تبين ذلك من خلال الصورة المتخلية عن الجن . فالجن في القصص الشعبي تغلب صفاته المتداولة في المعتقدات الرومانية القديمة (Genie) على صفاته التي ورد ذكرها في القرآن

Aly Mazahiri La vie cotidienne des musulmans au moyen age ed

Hachette Paris 1951 p 178- 11

Ed . b. Tylor Primitive culture - Third american from the second 12 english edition 1889

13 - ورد التعريف في مقدمة الكتاب السابق . وقد اعتمدنا تعريب عادل العوا للقول المذكورة في سياق ترجمته لكتاب لويس دولو: << الثقافة الفردية وثقافة الجمهور - منشورات عويدات - ط 2 بيروت 1982 - ص 29

Lucien Paye Contes de Tunisie Recueillis par le centre d'études des - 14 ecoles maternelles et enfantines de Tunisie - H . Mzali editeur - 1 vol 1949 2 Vol 1955-

G . Delphin R ecueil de texte pour l'etude de l'arabe parle - ed . le-roux - 15 Qlger - 1891

16 - طبع حصيلة بحثه سنة 1987 في كتيبين :
<http://Archives.tn/sakini.com>

R . Basset

Contes berberes

Nouveaux contes berberes

Vladimir Propp Morphologie du conte - Trad . M . Darrida - T .Todorov - C . Kahn ed - Seuil 1965

18 - محمد بوزينة - مشاهير التونسيين - ط . 2 سراس للنشر - 1992 .

19 - عثمان الكعاك : التقاليد والعادات التونسية - ط 3 - الدار التونسية للنشر 1981 - (تراجع الصفحات من 67 إلى 75) .

Encyclopedie universalis n . edition - Vol . 6 - Artivle conte p . - France - 1990.

21 - ولد محمد المرزوقي بقرية العوينة من مركز نوز بالجنوب التونسي سنة 1916 ، التحق بمعهد الآثار سنة 1957 ، ثم أشرف سنة 1961 على قسم الأدب الشعبي بوزارة الشؤون الثقافية حتى وفاته سنة 1981

22 - محمد المرزوقي - الأدب الشعبي في تونس - الفصل الأول (ص 14 / 15) الدار

Bouhdiba Abdelwahed l imaginaire maghrebin etude de dix contes
pour enfants - ed Maison Tunisienne de l'edition - 1977

24 - المرجع السابق - فصل Conte et societe

25 - المرجع السابق - ص 15

26 - المرجع السابق - ص 18

27 - المرجع السابق - ص 25

28 - المرجع السابق - فصل « l, imaginaire collectif » - ص 172

29 - بحث مرقون - نوقش سنة 1982 - وتوجد منه نسخة بدار الكتب الوطنية

30 - بحث مرقون - نوقش سنة 1989 - وتوجد منه نسخة بدار الكتب الوطنية

31 - « قدمت هذه المحاضرة في إطار الإحتفال بشهر التراث في سليانة يوم 19 - 5 - 95

بإشراف اللجنة الثقافية الجهوية والفرع الجهوي لإتحاد الكتاب التونسيين ./



ان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج من صامه الذي ينق به في سهبات اموره
ان يكون حليما في موضع العلم، صهيما في موضع الفهم، متداما في موضع
الاقدام، معصاما في موضع الامعاجام، مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف، كثرما
للاسرار، وفيا عند الضدائد، عالما بما يأتي من النوارل، يضع الامور مواضعها،
والظوارق في اسانئها، قد نظر في كل فن من فنون العلم فاحكمه، وان لم
يعلمه اخذ منه بمقدار من الحسن، واحتمل على صرفة عما يهواه من القبح بالطف
حيلة واجمل وسيلة.

عبد الحميد الكاتب

عناصر البنية الإيقاعية في طقوس الشكّ

بقلم : أحمد الحاجي

1 - مقدّمة :

إهتمّ النقاد العرب القدامى بالقيمة الصوتية للشعر وهذا ما وضحه حازم القرطاجني بقوله : والوزن هو أن تكون المقادير المقفاة تساوي في أزمنة متساوية لاتفاقها في عدد الحركات والسكنات والترتيب ... فالعروض الطويل نجد فيه أبدا بهاءً وقوةً ونجد للبسيط بساطة وطلاوة ونجد للكمال جزالة وحسن اطراد وللخفيف جزالة ورشاقة وللمتقارب سهولة وبساطة والمدير رقة ولينا مع رشاقة والرمل لينا وسهولة وكما للمديد والرمل من اللين كانا أليق بالرثاء ... من منهاج البلغاء وسراج الأدباء "268"

أما النقاد المعاصرون فيعتبرون الإيقاع في نظامه التقليدي بمثابة قيد وجب التخلص منه بإبداله بإيقاع حديث هو تعبير نفسي عن تموجات الحركات الإنفعالية . فالسعيد الورقي يقول في كتابه : لغة الشعر العربي الحديث ص 95 : أصبحت موسيقى القصيدة الشعرية موسيقى نفسية في الدرجة الأولى ترتبط إرتباطاً وثيقاً بحركة النفس وتموجاتها وبحركة الإنفعال وذبذباته ، لذلك ارتبطت السطور الشعرية في طولها وقصرها بمدى الدفقات الإنفعالية وتنوّعت البحور ضمن القصيدة الواحدة للتعبير عن تغير طبيعة الصورة والدفقة الشعورية أو الحدث داخل القصيدة ، أمّا القافية فهي قائمة على الإيقاع الداخلي الذي يوازن بين حركة النفس وبين الجانب الدلالي لجمال الصورة .

2- مراحل البنية الإيقاعية في الشعر المعاصر :

إنّ الحديث عن البنية الإيقاعية يقودنا إلى مرحلتين ناشرتين مرّ بهما الشعر العربي المعاصر هما مرحلة موسيقى الشعر ومرحلة البنية الإيقاعية .. ففي المرحلة الأولى محاولة للإنتقال من مستوى الكتابة بالبيت ذي الشطرين المتساويين المنتهي بقافية إلى مستوى الكتابة بالتفعيلة مع عدم الإلتزام بالقافية .

أما المرحلة الثانية فيمكن أن نطلق عليها المرحلة البنيوية التي حاول فيها البعض تغطية عروض الخليل تغطية بنيوية على أشكال ثلاثة :

- 1 - تبني نظرية غربية مثل ما قام به محمد بنيس وعبد الله راجح (1)
- 2 - الرؤية الشخصية المحدودة لدراسة بنية إيقاعية كما حصل لمروان فارس عند تحليله لقصائد خليل الحاوي (2)

3 - التغطية اللغوية الصوتية للنبر كما حصل لكمال أبو ديب (3)

3- عناصر البنية الإيقاعية في طقوس الشك :

1 - السطر الشعري : استخدم الهادي العبدلي السطر الشعري ليكتب بأسطر متفاوتة الطول لكنه يلتزم قواعد العروض العربي فحينما يستعمل التام وحينما المجزوء وحينما آخر المشطور .

والملفت للانتباه أن الهادي العبدلي قد تحرّج من التشكيلتين الخماسية والتساعية .. فلم نعثر له في ديوانه على تشكيلة خماسية أو تساعية قطّ وواضح أن السطر الشعري عند الهادي العبدلي لا يمكن له أن يتجاوز (8) ثماني تفعيلات وهو أقصى عدد تصل إليه التفعيلة في البيت التقليدي فلقد اتبع الهادي العبدلي تعريف نازك الملائكة للشعر الحر حين قالت : « الشعر الحر جار على قواعد العروض العربي ملتزم لها كل الالتزام وكل ما فيه من غرابة أنه يجمع التام والمجزوء والمشطور »

وقد تناسى الهادي العبدلي تعريفات متعددة للشعر الحر : منها ما يرجع إلى القرن الرابع الهجري مثال ذلك مقطع في شعر ابن بريدم متضمنًا لسطر من خمس تفعيلات (5) فهو يقول :

أحسبه يغير العهد ولا يحيد عنه أبدا (5) (مفاعيل * 5)

كذلك تناسى الهادي العبدلي ما تشير إليه الكتابة الشعرية بعروض البند خاصة عند شعراء القرن الحادي عشر الهجري وخاصة مقطع لعبد الرؤوف جد حفصي متضمنًا لتسعة تفعيلات (9) :

فمن لي يداني بي حظي النجف الأشرف كي أقضي به (9 مزج)

قبل أن أقضي ما فات من الغرض (6)

وكذلك نجد الهادي العبدلي يستعمل السطر الشعري في جلّ قصائده .. نذكر على سبيل الذكر لا الحصر : (7)

تسألت عني / فلا من مجيب فعوان × 2 / فعوان × 2
وأنذرت قلبي الهوى والخطوب فعوان × 4
وطوّعت رسم الحروف معان فعوان × 4
وحملت أهل القوافي نصيبا فعوان × 4
وطاوعت نفسي فعوان × 2

ب - الجملة الشعرية :

إذا كان السطر الشعري يبلغ أقصاه حين يصل اثنتي عشرة تفعيلية فإن الجملة الشعرية القصيرة تبدأ من (13) تفعيلية لتصل إلى حدود (16) ستة عشرة تفعيلية . أمّا الجملة الشعرية الطويلة فهي التي زادت عن 16 تفعيلية شريطة أن تتكرر عددا من المرات في القصيد الواحد

ويكون التأليف بين السطر الشعري والجملة الشعرية القصيرة أو الطويلة عن طريق التدوير وهي تقنية إيقاعية فريدة يحاول الشاعر بها تجاوز التقنية المعتمدة في البحر التامّ أو مجزؤه أو مشبطوره <http://Archivebeta>

ولقد حاول الهادي العبدلي صياغة خلجات النفس ودفقاته الشعرية في الجملة الشعرية للقصيرة أو الطويلة على حدّ السواء ، فالهادي العبدلي يقول في قصيدته كذلك العشق أنّي رأيت (8)

أكاد أشك وتدرين مثلي / كيف تكون الحياة / وكيف البحور / وكيف
تصيرين أنت القصيدة .

قد حقّق الشاعر خاصية التأليف بين السطر الشعري والجملة الشعرية معتمدا على تقنيتين إيقاعيتين هما تحويل تفعيلية المتقارب فعولان في ضرب الجملتين الشعريتين إلى فاعلاتن ثمّ إلى فاعلن كما في المثال التالي (9)

- أسيران بأمر الهوى / فعولان فعولان فاعلن

والتقنية الأخرى هي التخلص الجزئي من القافية وذلك يظهر في هذا المقطع من القصيد (10) :

نشأت وليدا / أقنتني خطوي إليك / أجهل / أي بلاد غزتها خطايا
وأي الكواكب .. / قد نزلت ... بعيدة

ج - الجملة الإستغراقية :

لما كان السطر الشعري يصب في الجملة الشعرية القصيرة ولما كانت الجملة الشعرية القصيرة تصب أحيانا في الجملة الشعرية الطويلة بإستعمال التثوير وصل الأمر إلى أن القصيدة كلاً تستغرق إيقاعاً جديداً سمّي بالجملة الإستغراقية وبذلك نضجت القصيدة وأطلق عليها القصيدة المدوّرة .

فالجملة الإستغراقية بهذا المعنى هي الجملة التي تستغرق القصيدة بأكملها : إن هذه التقنية الإيقاعية استعملها الهادي العبدلي في قصائده خاصة في قصيدة :
شكرا لكم : من طقوس الشك (11)

شكرا لكم .. / شكرا جزيلا ... / شكرا لكم / شكرا لكم على هذا الألم
إن وجود الجملة الإستغراقية هو في حد ذاته مزيج إيقاعية هذا إلى جانب أن هذه الجملة موزعة على أسطر يصب كل منها في الذي يليه عن طريق التثوير مثل قوله (12) : شكرا جزيلا / قد تعودت الجفاء ووجدتي .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

د - القافية :

مرت القافية بتحوّلات عديدة في الشعر المعاصر فهناك القافية المرسلة والقافية المتتابعة والقافية المركبة .

وقد بادر الشاعر الهادي العبدلي في مجموعته طقوس الشك بإستعمال القافية ليربط حركة النفس وتموجاتها بحركة الإنفعال وذبذباته فهي قائمة على الإيقاع الداخلي الذيوازن بين حركة النفس وبين الجانب الدلالي لجمال الصورة ، لكن ما يمكن الإشارة إليه في مجموعة طقوس الشك عدم استعمال الهادي العبدلي للقافية المرسلة ، فلم نعثر له على قصيد يحتوي على أبيات مرسلة .

أمّا القافية المتتابعة فهي تلك التي يتوالى الروي فيها على سطرين أو ثلاثة ثم يقع الإنتقال إلى روي ثان يفعل معه الشاعر ما يفعل مع الروي السابق ومن أمثلة ذلك قول الهادي العبدلي في قصيد جنوة النار (13)

1 - أحقا أغار / 2 - وكل النساء اللواتي حملن / 3 - وكل النساء اللواتي وضعن

4 / تزوجن صبري / 5 - وأنجن شعري / 6 - وطلقن قبلي نزارا / 7 - ولا زلن
بعد / 8 - حبيبات كل نزار

قد جمع الشاعر بين التناوب والتتابع في كل الأبيات إلا أن البيت 7 فمهم ليس
ما يتجاوب معه من قوافي المقطع فهو بذلك إيقاع جديد لكن ما يؤخذ على الشاعر
العبدلي استخدامه للقافية المتتابة دون تنوير في مثل هذا القصيد .

أما القافية المركبة فقد أبدع الهادي العبدلي في صياغتها حيث يبدأ الشاعر
بقافية ثم يتركها جانبا ليعود إليها في نهاية القصيد وهذا لا يمنع أن يتردد هنا
وهناك في جسد القصيدة وخير مثال نوردته هنا مقطع من قصيد : آخر الكلام (14)
: ساكون الماضي / كما شئت وفي آخر القصيد يقول ... وتبقين حبرا
على صفحتاتي .

يمكن أن نستنتج أن الهادي العبدلي جعل القارئ على استعداد لتقبل أية قافية
أثناء قراءة القصيد وأكثر من ذلك جعل القارئ يفترض قافية بعينها في مكان ما
من القصيد .. فقد وصل بقرائنه إلى أقصى قدر من التجاوب سواء أدرك وتوقع
القافية أو حين تقبل التوقع المخالف للقافية المعهودة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هـ - إختلاف الأضراب :

لما كانت القصيدة العربية القديمة ثابتة الحشو والضرب بحيث يلتزم الشاعر في
قصيدته بأحد تحويلات التفعيلة كان لزاما على الهادي العبدلي أن يكسر الثابت
ويخرج عن سنة الثبات وأن لا يتقيد بالتفعيلة الرتيبة آخر البيت (أعني الضرب)
فتنوعت بذلك القوافي واختلفت الأضراب وهذا ما حصل فعلا عند الشاعر الهادي
العبدلي في قصيد : - أنت قلبي - (15)

عائد / فاعلن

فر من تحتي الطريق / فاعلن

عابر / فاعلن

فوق جسر من حريق / فاعلن

خلف ذاك الوهم سرت / فاعلاتن

ونلاحظ أيضا الثورة على الثبات في الضرب في قصيدته أغنيات الأمل (16)

لماذا أنا / فعل

وأنت لماذا / فعولان

وزغاريد الفرح الماضي / فعلن

و- المزج بين البحور :

إن المزج بين البحور عادة تميّز بها شعراء الخداعة وهي ميزة ايقاعية عالية استخدمها الهادي العبدلي فقد مزج بين البحور في القصيدة الواحدة كما فعل أسلافه من القرن الرابع الهجري في قول ابن دريد (17)

رب أخ كنت به مغتبطا

أشدّ كفي بعري صعبته الرجز

قلماً لجّ في الفيّ أباء ومضى منهمكا غسلت

إذ ذاك يري منه الهزج

كما اقتدى الشاعر الهادي العبدلي بالشاعر خليل شيبوب من قصيد الشراع

إنّه غيمة سرت في سماء / الخفيف

قد صفت زرقتها / الرمل

لكنما هذا جناح طائر / الرجز

وقد وجدنا في شعر الهادي العبدلي قصيدة تسير على النهج نفسه مع فروق

تضفي تقنية عالية من الإيقاع بديعة تستعمل المتقارب (18)

صغيرتي / الرجز

لأنك أنت أنا / متقارب

لأنك بعث لموتي / متقارب

ولأنك ما زلت بعد / المتدارك

لم تولدي / الرجز

والخلاصة أنّ هذه الميزة الإيقاعية التي تفرد بها شعراء الشام وعلى رأسهم

أدونيس قد تجاوزها الشاعر الهادي العبدلي وتفرد بها في مجموعته عن شعراء

تونس .. فهو أوكّل من صاغ جُلّ قصائده ممزوجة ببحور شتى .

ولعلّ إبداع الهادي العبدلي حين تجاوز ما قدمه بدر شاكر السياب الذي اكتفى

بالمزج بين بحرين فقط خاصة في قصيدته 'بورسعيد' التي مزج فيها بين بحرين فقط هما الخفيف والسريع .

ي - ظاهرة الإبدال :

إعتبر الناقد كمال أبو ديب الإنتقال من المتدارك إلى المتقارب مزية من مزايا الشعر الحديث الإيقاعية في كتابه « في البنية الإيقاعية » ولقد حاول الهادي العبدلي أن يضفي على قصائده ظاهرة الإبدال التي تعني ابدال فاعلن ب علن ها دون أن يقع في ما وقع فيه أونيس حين مزج بين بحري المتدارك ومجزوء الخفيف محاولا إبدال تفعيله فاعلن ب علن ها .

ذاهبا أتقيا بين البراعم ابني جزيرة / المتدارك

أصل الفصن بالشطوط / فاعلاتن متفعّلن

ألبس الدهشة الأخيرة / فاعلاتن متفعّلن مجزوء الخفيف

نلاحظ إذا ظاهرة الإبدال عند أونيس ليست إبدالا بالمعنى الذي نريد فالبيتان الأخيران من مجزوء الخفيف إذ تحوّلتا مستفعّلن في السطر الأخير إلى متفعّلن عن طريق الخبن والترقيع .

وبذلك لا يبقى مكان ل : فعولان في كلّ الأسطر الثلاثة وكل ما في الأمر أن المقطع يمزج بين بحري المتدارك ومجزوء الخفيف .

أمّا ظاهرة الإبدال عند الهادي العبدلي فنجدها ذات ايقاع بديع نلمسه في

قصيد : ليس لك أن تسألني (10)

فأنا هكذا : أحبك / فاعلن فاعلن فعولان

امسي ويومي / فعولان فعولان

وحياتي الباقية / فاعلاتن فاعلن

إنّ البنية الإيقاعية بعناصرها السالفة الذكر قد بوّأت مجموعة الهادي العبدلي - طقوس الشك - مكانة مرموقة من شعرنا المعاصر وهذا الرأي إذ دافعت عنه بالبيان والتدليل فهو يدعو إلى مزيد الحليل والتنقيب وقد اقتصرنا في هذا البحث على عناصر الإيقاع دون غيرها وهو ما يلحّ على كثير من النقاد النظر إلى المجموعات الشعرية الشبابية التي تعتبر في مجملها حدثية ، ومجموعة الهادي

العبدلي تزخر بمفاهيم إبداعية منها التناص مع الشعر العربي قديماً وحديثاً ومع الشعر العالمي وهذا مبحث لوحده . كذلك وجدت في الشاعر الهادي العبدلي شاعراً أتقن تشكيلات عديدة بصرية لقصائده وله مساحات يوزع فيها فضاء النص الشعري كلمات تقضي إلى متعة البصر مما يجعل خارج النص تعبيراً عن داخله وهو مبحث ثان نرجع له في بحث آخر .

خاتمة :

لقد إكتسب موضوع البنية الإيقاعية قيمته من أنه يؤسس بشكل شامل لموضوع بالغ الأهمية في شعرنا المعاصر . فهو يحدّد المفهوم العلمي للشعر المعاصر ويكشف عن ارتباط المعاصرة بالتراث ويناقش أصول الحداثة ويوزع مادته على خارطة المجموعة الشعرية - طقوس الشك - وتكمن الأهمية الثانية للمجموعة في أسلوب معالجتها للقضايا الراهنة للشعر المعاصر التي أحسن الهادي العبدلي اختيارها وأجاد إبرازها بشكل ينم عن براية بالأوزان الخليلية وحكمة في طرق قضايا العروض وأساليبه .

المراجع :

- 1 - الوحدة السنة السابعة العدد 82 / 83 جويلية 1991
- انظر فقد وزّعوا البحور الستة عشر على خمس بحور هي الأيامية وتحتوي الرجز والسريع والكامل والوافر والانتساباسيكية وتحتوي الهزج وحده والأنفواخية وتحتوي المتقارب والطويل والمضارع والانابستية وتحتوي المتدارك والبسيط والمنسرج والمقتضب والايونية وتحتوي الرمل والخفيف والمديد والمجث
- 2 - المصدر السابق ص 56 انظر كذلك الفكر العربي المعاصر عدد 26 عام 1983 ص 73
- 3 - في البنية الإيقاعية - كمال أب ديب - ص 211
- 4 - قضايا الشعر المعاصر - نازك الملائكة - ص 120
- 5 - نفس المصدر السابق ص 7 نازك الملائكة
- 6 - انظر كتاب « الإيقاع في الشعر العربي » ل : مصطفى جمال الدين منشورات النعمان بالنجف ط 2 1974
7. 8 - طقوس الشك ص 9 و 31
- 9 - نفس المصدر . ص 33
- 10 - نفس المصدر ص 16 و 46
- 11 - مجلة الوحدة السنة 7 ع 82 - 83
- 12 - نفس المصدر ص 43 و 75
- 13 - 16 نفس المصدر ص 16 و 46
- 14 - 19 طقوس الشك ص 34 و 18

حالات

شعر : عبد السلام لصيلح

1 - حالة دائمة

ها أنت وحدك
خمدت التيسار
ولا تنسهار ..
ها أن أساك انهار
لا الليل ليل
ولا النهار نهار ..
كل الرفاق مرّوا ،
كل النساء في سباق إليك
يتزايدن
يزايدن عليك ...
وأملك راحت
وأبوك ، غده انتظار ..
عفوا يا أبي
وحدي يهزّني إحصاره
يجي بي
يذهب
ويعود ..
بلا قرار
عفوا يا أنا
وتونس في القلب ،
خبيعت نفسي



ضَيِّعَنِي فِي حَبِّهَا زَمَنِي
وَسَلْيَانَةَ تَحِبَّتَنِي
وَتَجِئْتَنِي ..

وَحِينَ يَسْتَبْدُ بِي حَزَنِي
أَجِئْتُهَا ..

أَبْعَثَ عَنْ فَرْحِ
أَعُوذُ بِهِ

مَنْ شَرُّ الْمَدِينِ
وَنَسَائِهَا

وَعِيُونِهَا
وَلِصُوصِهَا ..

أَحْتَمِي فِيهَا بِهَا

مَنْ وَجَعِي وَمَنِّي ..

أَهْرَبُ إِلَى سَمَائِهَا

مَنْ نَارِ الْمَدِينِ

وَمَرَائِهَا ..
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أَفْرُ إِلَى قَبْرِ أُمِّي

مَنْ خَرَابِهَا

يَلَانِهَا

وَعَذَابِهَا ،

أَفْرَمْنَهَا ،

وَمَنْ نِفَاقِهَا

وَمَنْ ذَكْرِيَاتِي

وَمَنِّي ..

أَه يَا ذَكْرِيَاتِي !

تَعَذِّبْنِي ذَكْرِيَاتِي ..

إلاهني أجرنني
وأغنني
كي أنسى ذكرياتي ..
إلاهني أجرنني
وأغنني
كي أنسى ذكرياتي
وأغنني .

2- أسئلة

ها أنت في غريتك ..
ماذا تقول؟
يتسألون عظامك
يتسألون لحمك
يتسألونك

فإلى أين الرحيل؟
وكيف الوصول؟
نسافر

ونأتي
أعمارنا مدّ وجزد
كرد وفرد
نعيش طيبين
لسنا وصوايين
وانا الوصول .

3- سليانة

لسحر روايبك
لعطر الوادي فيك ..
لشموخ الغابة

للياليك،

لك ..

عشقي وحنيني ..

لأحــرارك

وفرســاتك

لثــوارك

لرائحة البارود

في جيبالك

ولمائي وجنوني .

لحرّيتي عمري

دمي

ودوحي

فأستريحني

يا نجمة بين نجوم القلب

حلو أنت

في محيّاك ..

رائعة أنت

في صباياك

في قصائد الحب

وفي أغانيك .

4- إلى صديق سوف يأتي

سحقتك الغريبة يا صديقي

وشرّدك المنفى يا رفيقي ..

طويلى لك

واحسبـرك

أقسم أنك سوف تأتي



وأنك لا تموت

أراك

وأسمعك

يا حبيب الفقراء ..

فصباح الخير كل يوم -

وسلام عليك صباحا ومساء .

5- سعاد الصباح

يكحل عينيك

عشق العروبة ..

قلبك مسك

وطيبة .

عطرك روح القصيدة ..

أنت حرف حر واقف

ورفض زاحف .

أنت فارسة كفاح ومواقف

وأنت سنبلة عنيدة .

6- تهمة جميلة

منذ ثلاثين عاما

أنا متهم بحبك

يا وطني ..

فهل تحمل معي

وزر التهمة ؟

حمدا لله ..

أنا لست مصابا

بداء الكرسي ،

ولست جباناً ..

ما تنكّرت
وعندك ما تخلّيت
فكن معي
وحلّق عاليًا
كبي تفتح في وجهك
أبواب الرحمة .
7- فراشة ووردة

فراشة
تحلّق على وردة قلبي
بردا وسلا .
تروحين
ثمّ تختفين ..
وتأتين .
وتبقين جرحا
نبضا
وغراما .

أنت
والوجد
أنا بينكما
سؤال
وحيرة
وخوف في عينيك ..
أه من عينيك
أنا بينهما
عاشق ..
وأنا غارق ،

فساعديني
وعلميني
كيف أحرّر منهما
ومنك
بيبك ..
لأنني أحبك .

الكلام الحرام

شعر : رحيم الجماعي

* الرّحيل في الجنة الهامدة

حين أراك
أدرك لماذا أسكر من قطرة واحدة
وأنفر دائما من جميع البغايا
حين أراك
أدرك أيضا
لماذا تغفو الحياة جنة هامدة
وتنمو العناكب في السبل والزوايا
حين أراك
أدرك جيّدا
أنك ميت لا محالة
إذا ما رأيت ظلك في المرايا



.....
قليل عليك موتك مرتين
وكثير علينا ظلك في الزوايا
فنحن نملّ صاحنا حين يقيم
فكيف نقيم مجلسا للعشايا ؟

* أنا

وكبى جوادك مرة أخرى
فانفضوا جميعا .
كلّهم ذهبوا
فقلت - والعناصر تحتك - :

« ليس غريبا
فإنَّهم ... عرب »
واستوهيت كعادة النَّخل فيك
ومررت خفيفا
بين الّذين ...
ومن وثبوا
وصرت على الأرض ضنينا
فاستحلت شهابا وطرت
لا الجبال تدرك ضوعك
ولا السَّحب
وحين استقرَّ المقام الرفيع
حدّثت في الالهي كانوا ...
وقلت : إنّي هنا
فظلّوا هناك
أيّها ال ...عرب
* خيبة أخرى
مولدي ...
كم خيّت قلبي الشَّموس
فجرّح الدَّمع صدري
وتقرّحت منّي المقل
وما زلت - يا إلهي - أقول :
« ستأتي البلاد ولو بعد عمر ،
فصبرا جميلا أيّها الجمل »
ومضيت أقنّفي الأمل ،
أطرق الغيم
أطرق الشمس حتّى ...



ملّني الامل
- يا إلهي - وملّني الأقربون
فلم تحتملني البلاد
ولا هذه السبيل
مولاي ...

مفلق بلدي
مثما يشتهي المخبرون
وهكذا أغلقت تلکم النول
إلهي كم شرّوني
كم قتلوا الطّفْل في
وفعلوا بنبیک هذا
ما فعلوا

إلهي دعوتك :
أن إرحم قليلا
ويکيت
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

فما استجبت وما ...
توسّط لي عندك الرّسل
مولاي ...

أوّل العمر مضى
ثاني العمر أيضا
ثالث العمر يمضي
وهذا الفتى الظّمان
إليك يبتهل
فلماذا غيماتك
تمطر على أخضر شوکهم ؟
وحين ترى ذابل وردي

تلملم أطرافها وترتحل !!!

مولاي ...

وهنت منّي العظام

نحلت روحي تماما

وهدت جسمي العلل

وأعلم - يا إلهي -

أنك أرسلته في الطريق

فلماذا حامل الموت

لا يصل ؟

* سيّان عندي

كم مرّة

سأعلو عليهم جميعا

وعلى المساء الكنوب

كم مرّة

سأكبر أكبر في رؤيا

وفي رائعات الذنوب

كم مرّة

سأعصر الوردة عمدا

وعمدا أمرّ

وأتركها للشحوب

كم مرّة

سأمضي أماما

وأصبح كالفاتحين :

« أيتها العناصر ما زلت حيا

فيا أيتها العناصر توبى »

كم مرّة



سأدير للشَّمس وجهي
وأشرق عنوة
نكالة في الغروب

.....

.....

ولم أنه القصيدة بعد
فكم مرّة
سأخرج للشوارع عار
ولا أستحي من ... عيويي
* هذه الطفلة لي

إذا الطفلة كبرت ...
فلأنّ النهد كوّته يداي
ونفخت في الشفاه حريقي
وعطّرت جسمها بصباي
ولأنّي أضعت العمر ،
في ريّ ورود الأنوثة
بقصائدي ، ويدماي
* * *

إذا الطفلة الوردة أينعت ...
فلأنّني عاشق عاشق
وخفيفة تقودني إليها خطاي
ولأنّني ارتفعت عن الأرض بها
وحلّقت بها في سماي
* * *

إذا الطفلة الوردة ابتسمت ...
فلأنّني أطلقت صياحي عليها

واعتقلت مساي
وسيجتها بفرحتي الأولى
واحتويت أساي .

* * *

إذا الطفلة الوردة ... ذبلت ...
فلأنني غبت بعض الثواني
ومنعت عنها هواي
واسألوا الطفلة عني تجيب :
« لن أكون بدون حبيبي
فهااتوا - كي لا أموت - فتاتي
... إذا الطفلة كبرت ...

فلأنني أنا

أنا بون سواي ...

* هكذا وأمر



فاعلن ، فاعلن ، أو ...

فمعل ...

لا بداية لي

لأخون البداية

ولا عكّرت - في حياتي - نهرا

لتغضب منّي الحقول

ولست الشتاء العبوس

لأرسل بالصقيع القطيع

للربيع البديع

فتكفهر الفصول

ولست حاكما عربياً

ليفر من أمامي الحمام

ويستحي مني النّهد الخجول
مستفعلن ، مستفعلن ، أو ...
فاعلاتن ...

يزول « خليلكم » أو لا يزول
فلست عنو الطّيور ولا ...

لا رغبة لي
في عناق « تفعيلة »
في سجنها

يضيق سجنني ويطول
فاعلن ، فاعلن ، أو ...
فعلول ...

لا علاقة لي بالخليلي إذن
لكنني أفعل ، أفعل ، أفعل

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولا أستحي
إذا أقول (.....)
* (.....)

تدلّ عليّ صفاتي
عناد الجبال
وطبع الحمام
وشعرا جميلا يطيل حياتي
يدلّ عليّ شموخ النّخيل
وسمرة أهل ال .. شمّال
ومحراب أنثى يلمّ شتاتي
أموت لأجل رفيقي
وأنثى العنب
والعاشقين أبيح صلاتي

جميل الذنوب يدلّ عليّ
حلال المعاصي
وقلّبا كبيرا بحجم الفلاة
أحبّ الطريق الطويل ، الطويل ، الطويل
لأسري خفيّا
إلى اللّست أدري
فلا يعتريني الفتور
ولا تستباح سماتي
وأنيّ الجميل كما تشتهيني القطط
وأنيّ الثقيل على الثّقلاء
وأنيّ العصيّ على ... مشكلاتي
وأنيّ الشقيّ ، وأنيّ النقيّ
وأنيّ الصّبور على النّكبات
بلادي إذا شردتني
أكيل إليها الشتائم <http://Archivebeta.Sakhril.com>
وأدعو عليها ثلاثا
وأهوي على الرّيح بالركلات
وأهوي ، أهوي ، أهوي ، ثمّ أحنّ
لأنّ رفاقي ...
إذا متّ يوما ،
إليها تعود رفااتي
تدلّ عليّ صفاتي أقول
وأغتال نفسي تماما
إذا غادرتني صفاتي ./.

نرجسية

شعر : صالح الفضلاوي

نرجسية ...

هذي الليالي

حزنها

والخطى

وهي هنا

تناجي بقاياها وأطلالها

وتسبي الخطى

وهذا مكانها ... يبكي هنا

وترى ! ..

الليلة جئت أبْدُ عطشي

وأكرّد ما تبقي من مواهيدي

وأقول للتي عانقت سفري

دعي موجة العمر بين حروفي

واقطفي هذا الصدى

وجمي ...

يا وجمي الذي ظلّ يكتبني

ويحوي خرابي

ساكون لك

فلتكن أنت كذا

سأطير بك

فلتسرّحني ألامني



شجر

ولتبدد ما تبقي من نشيدي
ومن أجواء عيدي
فطفلة الريح التي دمرتني
ابكت قصيدي
يا حبيبي
يا رموش الطير
هل عاد حبيبي
أم دنا مني حريقي
بل رحيلي
ففرّد الحلم وحيدا
وعاودتني آلام طريقي
يا صديقي
لم أكن وحدي هنا
غادر الأحلام قلبي
والصبا ...
هذا الصبا
حان وقتي ... ونشيدي
فلتكن أنت حبيبي
وانتهى
أو قل كفى / وكفى .

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أحاديث طفل متعب جدًا

شعر : رابع المجبري

متعب .. متعب

متعب الروح يا صاحبي

متعب القلب والخطوات

متعب مثلما وردة

تتيسر شيئا .. فشيئا

تطعم العابرين شذى

بينما وحدها تذرف

ما تحجر من عبرات

* * *

متعب والمدى

أضيق من خطاي

أنثر الحب يا صاحبي

والعصافير تأتي تلوذ سواي

أهب من أحب دمي

والسكاكين تنغرس

في قفاي ...

متعب والطريق التي

أطرق جمرات

* * *

متعب .. متعب

متعب النفس يا صاحبي

والحروف التي أعشق

زفرات



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لست أشفى من الوجع
لو على هديها قد تسير إليّ الحياة
وجع في فمي
وجع في دمي
في كرياتهِ البيض والحر
في القسمات
* * *

متعب في التسلك عبر الخلايا
إلى كلّ نبض ...
متعب في التسلك عبر المرايا
إلى كلّ رفض ...
متعب الكلّ والبعض
متعب الصمت
والكلمات
* * *



متعب ... متعب
لست أعرف ماذا بقائي
بلا أيّ جدوى
وماذا ارتقائي إلى جبهة
لا تعي وهج
الأغنيات
متعب لو أخلف بعضي وأمضي
إلى أين أمضي ؟!
وبعضي صدى الذكريات
متعب متّ يوم ولدت
ولم أتوسلّ جراحا

ولم أتوسل رياحا
عزائي الوحيد
قصيد جدي .. دُ
وذا جسدي سوف لن يركب
الشهوات

* * * *

متعب ... متعب
يا رفاقي
ولا شيء ... لا شيء
يتسع لاحتراقي
وفي الروح بعض شتات
ولأني الننيء
ولأني الصوت الجريء
على شفتي استراح الربيع
نمت أحرف ولغات

متعب .. متعب
يا رفاقي
سأوصيكم بي إذا مت قسرا
ستبقى عظامي
تخيط اعتصامي
رداء .. لكل اللغات .



القلم والعصا

بقلم : أمينة الوسلاتي

نظرت بحزن إلى المكان الشاغر أمامها ، فراغ وسكون متناهيان . كأنه لم يمض يوماً حيوية وحركة ، غير ممكن ما حدث ! ولم تتعقد الأمور بهذه الطريقة ؟
نقلت نظرها إلى الجهة اليسرى وسألت : " لم لم تأت صديقتك ؟
ترددت قليلاً ثم دسّت يدها في جيب ثوبها المدرسي ذي اللون الوردي وناولتها ظرفاً صغيراً وهي تقول :
" لقد بعثت إليك بهذه الرسالة " .

فصّتها بسرعة فرأت بداخلها ورقة صغيرة مكتوباً عليها بخط أنيق " يبدو أن العصا والقلم لا يلتقيان ! " ولا شيء غير ذلك .

غمرها إحساس مؤلم ونفرت الدموع إلى عينيها بإلحاح . كيف تخفي دموعها ؟
استندت إلى الجدار الخلفي وجعلتهم جميعاً أمامها . كانت القاعة تغرق في لحظة من الأحزان والصمت . وضغطت على نفسها بقوة لا ينبغي أن تنفجر هنا !

مرّت دقائق عسيرة ثقيلة على القلب كمساء شتاء عنيف . كانت الورقة في يدها ثابتة إدانة على أنها أخطأت ، وعلى أن الذنب ما زال قائماً حياً كجرح غائر .

هاهي ترفض الاعتراف بالذنب وتتركها لمثل هذه اللحظة المتعبة ، إنها كذلك يوماً . لا مجال عندها للإستغفار والاستسماح لعلاقاتها ومواقفها أشد وضوحاً ...

لم كل هذا الحزن الذي تغرق فيه القاعة ومن في القاعة ؟ أتراهم يحقنون عليها الآن لأنها تسببت لصديقتهم المحبوبة في ما تسببت فيه ؟

تلميذتها هذه كانت تشبه الأسطورة .

ذكائها كان دائماً حديث المعهد ، الأساتذة والمشرفون والتلاميذ كلّهم يسمعون عنها . وفي مجالس الأقسام يشعّ حضورها وتفوقها ونبوغها . يقول الأساتذة :
ممتازة العمل والسلوك " ويقول القيمون والنّاظر : " لم نر من في مثل انضباطها وحرصها على الدرس " ويقول المدير : " هذه أحسن تلميذة في معهدي ! " دون أن

يتفطنُ إلى الإبتسامات الخفيفة التي ترتسم على وجوه الأساتذة .
لم تدرُسها خلال هذه السنة فحسب بل كانت درُسُتها في السنة التوجيهية أيضا
، ولقد كانت مدرُسُها منذ بداية السنة : أي شعبة ستختار ؟ العلوم أم الآداب ؟
وكادوا يتنافسون حولها ، قال أستاذ الرياضيات وهو يهزُّ منكبيه :
" المستقبل للعلوم ، ماذا ستفعل بشعبة الآداب ؟ أقصى ما يمكن أن تصله مدرُسة
بمعهد من المعاهد " فردَّت عليه - هي أستاذتها في اللُغة العربية - ببرود : " ها
أنت من العلوم ، ترى ، ماذا فعلت ؟ أنت مدرُس بمعهد من المعاهد " ...ضحك
ليخفي حرجه وقال :

: لعلْ إمكانياتها تفوق إمكانياتي "
فردَّت بحدَّة :

" الكلمة الفصل ستكون لها ، هي التي ستقرِّر ما ستختار "
ومرت الشهور واقترب موعد مجالس الأقسام ، وفي كل مرة كانت تسألها عن
الشعبة التي تنوي اختيارها كانت تجيب باسمه في ثقة :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فتسألها من جديد :

" ألا تحبِّين الآداب ؟ "

وتردُّ بطفولة :

" أحبُّ الآداب ومن يدرُس الآداب ! "

وبينما يضجُّ الجميع بالضحك تمرَّر هي أصابعها فوق شعرها المتهدِّل وتتنظر إلى
العصا الملقاة تحتها بالأم .

نعم ! كانت تنتقل بواسطة عصا غليظة في ناحيتها التي تلتقي بالأرض مقوَّسة
في ناحيتها العليا ، تقويسة تسهَّل وضعها تحت الإبط ...

كانت في كل مرة تنتظر إلى العصا تحسُّ بالفجعية : ليت كل هذا الذكاء ، وهذا
التفوق وهذه القدرة ليت هذا كله يوجد داخل جسد كامل ! وتنتابها حالة من النعمة
الشديدة على من ؟ وعلى ماذا ؟ ليست تدري . كانت فقط تنقم على هذا الخلل غير
المقنع .

ورغم الإعاقة فإن تلميذتها كانت تتعامل مع ما حولها تعاملًا واثقًا : تتنقل بخفة ، وتلعب مع الجميع ، وتفرض ذاتها على الكل وتواصل تفوقها ، ترمي بالعصا تحت الطاولة وتتهبأ بسرعة ودقة للدرس .

وعندما جاءت فترة التوجيه كتبت في المربع الأول باللون الأحمر : " الآداب " .
كاختيار رئيسي لما تريد أن تتخصص فيه . وحاول أستاذ الرياضيات أن يناقش القرار وقال : " هي لا تعرف ما تريد ! " فردت عليه بتحد :

" بلى ! تعرف وتعني ، انظر إلى طريقة الكتابة ! لقد كتبت " الآداب " بالأحمر وبقيّة الشعب باللون الأزرق ... " وفي محاولة لفضّ الخلاف تدخل المدير قائلاً :

" نحن مطالبون بالتوزيع التالي : قسم للآداب وقسمان للعلوم ، يمكن وضعها في شعبة العلوم فردت :

" غير ممكن ، ورغبة التلميذ تضعها في أي قسم ؟ " وكادت تحدث خصومة فتبدلت الأفكار بعنف وعلت الأصوات ، وقالت :
http://ArchiveBeta.Saknil.com
" لنسألها هي ، رأيها تنتظر خارجاً وهي المخصوصة بكلّ ما يحدث " .
وجاءت تتأرجح بعنف في الفضاء وترمي بثقلها على عصاها بين الرجّة والرجّة قال لها المدير باقتضاب :

" أية شعبة تختارين ؟ دون ضغط " فردت بابتسامة صغيرة :

" لم يضغط عليّ أحد ، أنا اخترت شعبة الآداب عن قناعة ، قدراتي العلمية متوفرة ، ولكن ميولي إلى الآداب أقوى " .
وأذن لها في الخروج ، ونظر المدير إلى أستاذ الرياضيات وهزّ كتفيه ويديه ، وعلق الأستاذ :

" تلميذة بهذا المستوى تجد نفسها مع تلاميذة ينتقلون إلى المستوى الموالي بالإسعاف ! "

كبحت جماح مزاجها الحاد وسريع الإلتهاب وتواصل المجلس في جو مشحون متوتر .

والتقت بها من جديد ، في سنتها النهائية . كل شيء فيها اكتمل ، قامت بها وأنوثتها وجمالها وخاصة عقلها ، ترك النشاط المتقد الفوار مكانه لتفكير رصين معقلن وتركيز بعيد المدى يتوضّع في تدخّلاتها وتحاليلها التي لا مكان للشغرات فيها ، وفي تمكّنها من سلطة اللّغة وقواعدها . وكبرت معها أيضا العصا .

طالت وامتدّت تقويستها وأصبحت تحتل من القاعة حيزا طويلا ، وتظهر جوانبها للجميع كحقيقة بشعة ...

كيف حدث ما حدث ذلك اليوم ؟ هي الآن لا تصدّق أن ذلك وقع فعلا وأن ردّة فعلها كانت بذاك الحجم وبذلك الشكل ...

كان الدرس في أوجه ، تدخّلات ونقاش وشروح ومحاولات متعدّدة الأشكال للالتحام بالفكرة ، في ذلك اليوم كان النص موغلا في التجريد ، صعبا ، متمنّعا كأنه المستحيل ، وكانت تصنّ بالإجهااد والتوتر لأن ما يرسم على الوجوه يوحي بعدم التمكن ممّا تريد إيصاله ، جرّبت كثيرا من الطرق التي يمكن أن تنهض بالفرض بينما غرقت ردود الفعل في الغموض والتشّنت ...

وفي ذلك اليوم أيضا كانت تلميذتها تلك ساهمة ساكنة كأن حلما ما يأخذها بعيدا عمّا حولها وعمّن حولها .

في العادة كانت تمثل سندا لها في مثل هذه الحالات ، كانت أسرع فهما من البقية وكانت تدخّلاتها ربطا بين البسيط والمعقد ، وعندما ترفع إصبعها ينسحب البقية ليسمعوها ...

ذات يوم كانت تحلّ وتستنّج وتقارع وتلتحم بالمعنى ، وعندما سكّنت اندفع زميل لها يقول : " الله ! " ولم يتبيّن اندفاعه إلّا عندما ضجّ البقية ضحكا ، وإنّ ، فقد كان سكوتها وسكونها ذلك اليوم مشاركة أخرى في تعقيد الإحساس بأن الدرس لا يسير كما ينبغي وكما كانت تريد له .

ولقد أحققتها تلك النظرة الحاملة المعلّقة بأهدابها ، وذلك الطيف الفرح الراقص

على وجهها وشفتيها ، هل يمكن أن يكون ذلك قد حدث ؟ وازداد حنقها ، كأنه لا حقٌ لمثل عقلها الكبير في هذه الأشياء ،، ولم تجد تفسيراً لأن تنظر إلى عصاها الممددة تحتها والتي كان ذيلها يطل بوقاحة من تحت الطاولة ويمتد بين الصف الأوسط والأيسر .

ثم ماذا ؟

وتذكر أنها كانت بصدد شرح جملة ، شرح وضعت فيه كل تركيزها وطاققتها ، كانت تتكلم وهي تدلف بين الصف الأوسط والأيسر ، وإذا بها تنقذف بقوة إلى الأمام ، أية قوة جبارة رقصت بين ساقها وحملت بإمكانية التوازن إلى المستحيل ؟ انسحقت على طاولة إلى اليمين ثم مدت يدها وهي في عنف القذفة فارتطمت بوجه تلميذ ، وقبل أن تهوي إلى الأرض كان أحد تلامذتها يلتفها بكلتا يديه ويوقف كل شيء .

وفي خضم الألم الذي كان يسحق عظامها وإحساسها الحاد بالاضطراب والخجل نفضت شعرها وهي تقول بصوت غاضب :

" لا ينقص هذه القاعة الجرباء إلا عصي المماقين " .

وكل ما كان بعد هذه الجملة عذاب لا ينتهي ولا يتوقف وإحساس بالندم راكد لا يرحل كأنه المرض المزمن ومحاسبة عسيرة للنفس تبلغ حد الاحتقار والاشمئزاز .

هل يمكن أن تكون قد قالت فعلاً ما قالته ؟ لكم سخرت من نفسها وهي تتلقى استمرار هذا التساؤل ، وما هو كل ما يحدث ترجمة عن أن ما قالته قد قيل فعلاً . أي شيطان دفع بتلك الجملة إلى لسانها ؟ الحيوان الوحيد الذي يربط من لسانه كان هو ابن آدم ، وهي لم تتحكم في لحظة من الأحاسيس المغلوطة في أن تقوم بعملية الربط هذه ، فانطلق لسانها بتلك البشاعة .

لقد أحسّت بغداحة ما أنت ، وهي نفسها انتفضت بعنف بعد أن سمعت تلك الجملة ، وامتلاً داخلها بصيحة مكتومة : " غير ممكن !

سكتت قليلاً ثم نظرت إلى تلميذتها وهي تقول معذرة :

" عفوا لم أقصد أن ... "

ادعاء ! واضح أنها قصدت أشياء كثيرة ، وما هي تلميذتها تنتظر إليها بذهول ،

وتنصب في عينيها ظلال قاتمة وهي ترمق أستاذتها لا تطرف .. تشنجت شفقتها
في امتعاض وتهمي واضح للبكاء ثم وضعت وجهها بين يديها وتركت نفسها لعاصفة
قوية من البكاء .

وارتمت هي على كرسيها ملفوفة في إحساس بالذنب مقيت ، لم تكن قادرة على
النظر في وجوههم وعادت تقول :

" إنني أعتذر عما قلت ، صدقي أنني لم أكن أقصد إيلاكم .

بقيت كلماتها تطفو على فضاء القاعة ، وانعدم أي استعداد لسماعها أو الاهتمام
بها ، كان نشيج زميلتهم يغطي كل شيء ، وخيم صمت ثقيل مشبع بالحزن والقهر .
وفجأة ، نهضت من مكانها وهي تعتمد على الطاولة بإحدى يديها ، وأسرت
زميلتها تضع لها أدواتها في محفظتها وتأخذ العصا من تحت الطاولة وتمررها
أمامها ، فمدت لها يدها بخفة وعلقت المحفظة في كتفها ثم نظرت إلى الأستاذة ...
نظرت إليها طويلا وانفرجت شفقتها قليلا كأنها تهم بالكلام ثم نظرت نحو الباب
وخرجت تتأرجح بعنف وتضرب على البلاط بقوة .

ماذا كانت تريد أن تقول قبل أن تخرج ؟ لكم عذبتها هذا السؤال ! ليتها قالت
شيئا ! ليتها ما اختارت أن تسكت ! ولكنها خرجت دون أن تقول شيئا ، تركت الكل
وراء ها يفرق في الذهول والامتعاض ومضت .

وها قد مضى أسبوع دون أن تأتي ...

بعثت إليها باعتذاراتها مع زملائها ، كتبت إليها توسلاتها على الورق ، رجتهم
ألا يتركوها ، أن يذهبوا إليها في بلدتها الثانية ويقنعوها بالعودة وضرورة المواصلات
، أفهمتهم أنه لا مجال لأن تتراجع ، وعلّق أحد زملائها وهو يرمي بالقلم أمامه
بعنف :

" نحن الذين خسرتها " .

وفهمت ما يقصده ، لقد كانت لا تبخل عليهم بشيء ، تطالع الكتب وتقدم
جذائنها لمن يرغب فيها مستعدة دائما لأن تفهمهم ما يغلق عليهم من قضايا داخل
القسم أو في الساحة أو في قاعة المراجعة ، هذا ما تراه هي وما يقوله المشرفون .
وهذا اليوم هو بداية الأسبوع الثاني وها هو مكانها ما يزال شاغرا ساكنا كأنه

لم يمتلئ يوماً حيوية وحركة ...

عندما عادت إلى نفسها كان لا مجال لمنع دموعها . كانت دموعاً غزيرة لذيدة
تغسل أدران النفس وتذيب التراكمات الكريهة .

مسحت عينيها بذيل ثوبها الأبيض ومشت بإعياء إلى السبورة ، عندما واجهتهم
من جديد لاحظت أن صديقتها التي تجالسها عادة تضع عينيها في منديل صغير
مطرز ولا ترفعهما .

وأحسّت أن صوتها يتداعى داخل حلقها وهي تقول : " لاحظتهم أن القضية
تجاوزت مستوى الإعتراف بالخطأ أو طلب العفو ، فهل نترك زميلكم تردّ على
الخطأ بخطأ أفدح منه ؟ لا بدّ أنه توجد طريقة تعيدها إلينا وتعيدها إلى نفسها . "
وكثرت الاقتراحات والآراء ولكنها كانت تصبّ في اتجاه واحد : تشكيل لجنة
من التلاميذ والأساتذة يذهبون إليها ويقنعونها بضرورة العودة

نظرت في ساعتها وأجابت أحد المتسائلين بتأكيد : سيكون طبعاً موجودة
ضمن اللجنة !

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>



الطفل والعروس

بقلم : البشير التلمودي

منذ أكثر من أسبوع ، وهو يعيش على أعصابه ، يتألم ، ويحترق ! ، لقد عاش بداية حزنه الكبير ، منذ سنة تقريبا .

كان ذلك في الصائفة الماضية ، عندما جاء الغرباء إلى المنزل ، ودخلوا غرفة (خالته) منوية ، لقد أحس أنذاك أن في الحدث شيئا مخيفا ، لكنه لم يفهم جيدا سبب خوفه ولم يعرف معنى قلقه وضيقه . لقد قبع في الشباك المطل على (الدريية) يراقب الداخل والخارج ، تائه الفكر ، شارد اللب . هذا العم الطاهر (الشواشي) يحمل تحت إبطه حزمة (الكرضون) فيرفع (الخيشة) ويدفع باب غرفته ويدخل ، وهذه هادية ابنة الخالة فاطمة تحمل سلة المهملات لتضعها قرب الباب ،

– ترى ما الذي يفعله الآخرون الآن ؟

حتى أمه تركته ونزلت مع أخته إلى السقيفة لاحتساء الشاي وانتظار (النتيجة) ! إنه يتصور الموقف الآن : غمزات وضحكات وتعاليق : " إن شاء الله كيما ترى لطيفة يالآ جميلة " .. وأنت حية بخير يالآ فاطمة إن شا الله ترى هادية وفتومة وفوزية والصبايا بكل .

وأفاق من شروده على زغردة النسوة ، وقد ملأت الأرضية ضجيجا لم يتبين فحواه فأحس بدوار يهز رأسه الصغير وشعر بالغثيان ...

لم يكن يظن أن حدسه صادق بهذه الكيفية ، ولم يكن يعتقد أن الأمور ستتطور بهذه السرعة وأحس بدمعة حارة تنحدر على وجنته الشاحبة وعرف أنه يبكي ! هذه هي المرة الأولى التي بكى فيها ، لقد كان حساسا ، يتألم لأبسط الحوادث ولكنه حين يشعر بالحزن ، يكبت لوعته ويبكي في صمت وبلا دموع ! .

أفاق من شروده فالتقى نظرة ضبابية على (الدريية) ، فإذا بامرأتين متلحفتين تسيران جنبا إلى جنب مع خالته منوية . حاول أن يتحقق من المسألة بالتقاطه لما كان يدور بينهن من حديث لكنه لم يستطع ، فاكتفى بمتابعة اشاراتهن وضحكاتهن

، وودعت الخالة منوبية الزائرتين وأغلقت الباب وعادت أدراجها ، ولم تكد تقترب من السقيفة حتى أطلقت زغردة طويلة زادت من مأساته ، فأحسّ ثانياً كما لو أنّ الأرض تنهار من تحته ، ألقى نظرة أخرى على الممر ورفع يده يتحسّس آثار الدمع على وجنته ثم نزل في تناقل إلى الأرضية .

لم يعرف كيف كان في الطبقة العلوية وكيف نزل منها إلى السقيفة ؟ لم يجد أحداً هناك ، إلا ماعون الشاي وأفرشة الجلوس ، سارت به قدماء إلى فناء الدار حيث الضجيج على أشده بين الجارات ،
- مبروك يالّة منوبية ، إن شا الله بالهناء ، ببو بتمام ، مبروك يا رشيدة ، اش نوة موافقة ؟

وقف على العتبة الفاصلة ولم يعرف هل يتقدّم هو أيضاً لتقديم التهاني أم يهرب بأحزانه ، كان ينظر إليها وينتظر .

وابتسمت رشيدة للسؤال في خجل وقالت في شبه همس : " موافقة ، " .
حدّق فيها ملياً ولم يتقدّم ، ولم يقل شيئاً ، كان يريد أن تشعر بوجوده وترى قسماً وجهه المنهار فشتاله عمّا به ، كان يريد أن تعيش مأساته !
أطال فيها التحقيق ، فلم يعد يرى أحداً غيرها ، والتقت نظراتهما أخيراً ، فكان غضب الحبّ في عينيّه وكانت مفاجأة الحيرة في عينيها ، فتقدمت منه وأمسكت بيديه السمرابين ثم قالت وهي تنظر بعمق عينيها في أحزان عينيّه :
- " ووه " يا ناري أش بيبك عبد الستار ؟ ، ما تقولش لثلاثاتك مبروك ؟ ، ولم يقل شيئاً !

لقد أحس أنه طعن فعلاً ،،، نظر إلى وجهها الأسمر الجميل وإلى عينيها العسليتين فابتسمت له حتى يرى أسنانها الصغيرة البيضاء ،،، فتذكّر جملمته التي قالها يوماً أمامها - سنّيك ، سنّين بنّية صغيرة ما أحلام ، يا خي بدكتهم ولا مازلت ؟ . وضحكت ، آنذاك وفرحت كثيراً ، ف شعر أنها تحبه أكثر . أنه ما زال يتذكر جيداً ما قالت : لو كان كُنْتُ أكبر مني ولا حتى قدّي ،، راني خذيتك ، تعرفشي علاش ؟ ولما سألتها عن السبب أضافت في دلالتها العذب - على خاطر شِفْتِكْ هذي الخشينة ،،

وبلا وعي .. تحسّس شفته السفليّة الغليظة ، فأحس بقشعريرة لذيذة تسري في عروقه .. وابتسم لها .

قالت تسالّه ثانية : قلّي ما تقلّشي مبروك ؟ تاتائك باش تعرس ، ومرة أخرى .. انطفأت ابتسامته ، فإذا به أمامها على عتبة الألم ، لم يجبها لم يقل لها شيئاً .. نظر في عمق عينها طويلاً .. ثم خرج إلى السقيفة كما لو كان شيطان يطارده .. وتناهت إليه نداءاتها وهو يجري .. لكنه لم يلتفت وواصل فراره نحو الشارع .. هناك .. جلس كالرجل الكبير في مقهى الحي ينظر إلى الفراغ ، ألقى نظرة على نفسه وهو جالس : صندال أصفر من باطا وسروال (ماکو) في لون قميصه الأزرق ، لامس وجهه ثم تحسّس رقبتة وعصر جبينه ولم يدر ما يفعل .. فحرك رجليه في الهواء ثم ضرب على (الطاولة) بجمع يده وأخذ يصفر .

لم يحس بمرور الوقت ، كان ينظر ولكنه لا يرى في الناس إلا أطيافاً بلا معنى .. حتى أحمد صديقه الحميم ، لم يأت ليبوح إليه بأشجانته .. لقد غرق في (الترجي) وكرة القدم ومجموعة صورهِ الجرائدية ...

نظر إلى ساعته .. فإذا بها تشير إلى الساعة إلا الربع ، خاف أن تعنفه أمّه فنهض وقفل راجعاً إلى الدار دفع الباب الخشبي الكبير وداف إلى الممرّ .. كان يتمنى شيئين في نفس الوقت : أن لا يلتقي بها وأن لا يلتقي به .. ولم يعرف أيهما أحب إلى نفسه ؟

ولم يلتق بها !

فتألم ، وصعد السلم وجلس على الحشية .. ولم يكلم أمّه ، قالت تسالّه ، " وين كنت لتوة ؟ "

أجابها : " بَحْذاً حِمْدُ "

- " قوم أغسل طرافك ، تحب تتعشى ؟ "

- " ما عيش .. "

قال ذلك ومد يده إلى مجموعة من المجلات القديمة كانت موضوعة قربهِ على كرسيّ .. فأخذ قصّة (بلاك) بطله المفضل وحاول أن يقرأ .. رغم أنه كان يحبّ هذا النوع من القصص .. لم يفهم لماذا فقد الرغبة في مطالعتها وأصبح ميّالاً

لتصفح مجلات الكبار التي تشبه صورها مشاهد الأشرطة السينمائية ، لقد شاهد عبد الحق ولد العم الطاهر يطالعها رشيدة وسعاد خفية أثناء القيلولة تصفح مجلته بسرعة ،

كان ينظر إلى الصور فقط ويفكر فيها بكل قواه : إن وجهها الأسمر العذب ، لا يفارق خياله وتساؤل : لماذا أحبها ؟ إستعرض شريط الماضي فتذكر كيف ومتى بدأ ذلك .

كانت خالته منوبية تحبه كثيرا لأنه (عاقل) يسمع كلامها ولا يعصي لها أمرا ، وكذلك زوجها عمه الهاشمي الذي كان يقول له : أنت ولدي العزيز ، على خاطر رجال ، ربي يفتح عليك .

رغم كل الانتعاب التي كان يلاقيها عندما يكلف بجلب الماء من الحنفية العمومية ، ورغم تركه لحلقة الأقران لتلبية رغبة الخالة منوبية في إيصال رشيدة إلى دار عمته ، رغم كل ذلك ، كان يشعر باللذة والإعتزاز لأنه أصبح (رجلا) ترسل معه الصبايا للمحافظة عليهن من عبث العابثين ، وكثيرا ما خرج مع رشيدة لإيصالها إما للحمام أو لدار بنت خالتها سعاد ، كانت رشيدة جميلة حقا بلحفتها المصرية الساحرة حتى عندما كان يتبعها من خلف ، كان يفعل ذلك خاصة عندما يقتربان من دكان (المنجي) الحلاق الذي ما إنفك يرمقها بنظراته النارية كلما مرّت أمامه ، كان يكره كثيرا لأنه يحاول أن يفتكها منه وكان يكرهه أكثر ... لأنه لم يكن أنيقا مثله ، حتى شعره فقد كان فقيرا جدا ، الآن فقط عرف لماذا كان المنجي يحلق له شعره (بروس) ، كان يريد أن ينقص من جمال وجهه أمام من يحب ، لكنه كان بالمرصاد لنظراته وحركاته وسكناته ، وما زال يذكر كيف عاد برشيدة إلى المنزل من نصف الطريق عندما إكتشف أنها ابتسمت له من تحت (الخامة) ، لما وصلا ، تعجبت خالته منوبية وقالت : " علاش رجعتو ؟ أش نسيت يا رشيدة ؟ " وصاحت رشيدة وزمجرت ودعت عليه وأرادت أن تضربه ، وأحس أنه فعل شيئا عظيما خصوصا عندما سمع أم رشيدة تضحك وقد فهمت الحكاية وقالت : يعيش ولدي ، حزان على أختو ، "

لكن رشيدة صاحت من جديد وقالت : " حزان ؟ كثر عاد واللّه من اليوم لا عدت

نخرج معاه ، ها السَّخْطَة ، ،

وأحس بنوع من الحزن ينهش قلبه فنظر إلى اللاشيء وهمس : " أنا نجبها وهي
تقلّي سخطة ؟؟

وقرر عدم مكالمتها وعدم النظر إليها وعدم الخروج معها عندما تريد أن تذهب
إلى السينما ، ، سوف لن تذهب إليها أبدا ما دام يرفض الخروج معها ، أن أمها
لن تتركها تخرج وحيدة ولا حتى مع سعاد وهادية ، ، سوف تعرف قيمته وسوف
يرفض همساتها وضحكات الكاذبة وفرنكاته وتميررات يدها على شعره ، لقد أخذ
قرارا ولن يعود فيه ! ، ،

ودامت القطيعة مع مرور الأيام ، ، لم يكلمها ولم يعد يذهب إلى فناء المنزل إلا
للضرورة ، والتقى بها عدة مرات في السقيفة لكنه لم ينظر إلى وجهها الأسمر ولم
يحاول أن تلتقي نظراته الخجولة بنظراتها الساحرة ، كان يحاول أن يبدو أمامها
ذا أنفة حتى تكون هي صاحبة المبادرة الأولى لإبرام الصلح ، لقد سنم كبرياء
الوحدة ، ، فنسي قراره وعاد إليه حزينه إلى جلساتها وابتسامتها ونظراتها العسلية
، ، وأسنانها البيضاء الصغيرة ، لقد اكتفى كامل هذه المدة بالاستماع إلى صوتها
وكلامها وضحكات من بعيد ، وكان يقضي أوقات فراغه غارقا في أحلام الحزن لم
يكن أحد يعرف ما به ، إنهم ينظرون إليه كما لو كان طفلا صغيرا . حتى رشيدة
التي (فهمت) عواطفه وتحديث إليه في مواضيع كثيرة وأشعلت بحوارها ودلالها
نيران الحب في عروقه ، ، أصبحت تتجاهل هي الأخرى ما يعذب قلبه وفكره ،
وعرف أن المرأة كائن غريب !

صار يتمنى قنوم عيد أو مناسبة صفاء حتى يستغلها لإرجاع المياه إلى مجاريها
وحتى تعود أيامه قريبا إلى عهدا الدافئ .
وكان عيد الفطر !

نهض بكرة فساعده أمه على الاستحمام واعتنت بلباسه الجديد ، فبدا بعد
ساعة في مظهر أنيق يجلب الإعجاب ، سيكون أكثر أناقة حتى من الصديق
والناجي ومحمد أبناء خالته فاطمة ، وربما أكثر أناقة حتى من صديقه أحمد ولد
مراقب القمارق . وقف طويلا أمام المرأة وأخذ يحسن من شعره القصير ثم مدّ يده

إلى قارورة العطر وأخذ يرش على رأسه ولباسه ثم صب كمية في كفه ومرغ بها وجهه ورقبته ، ألقى نظرة أخيرة على صورته ثم إختار إبتسامة شدها على شفثيه وخرج من الغرفة لينزل إلى الأرضية ، قالت له أمه وهي تشيعة بنظراتها : " ما تنساش باش تعيد على الجماعة "

وقف في السقيفة لحظة يستمع إلى ضجيج الحركة القائمة على قدم وساق في الفناء الداخلي ، فأحس بالحر كإنه غريب ، فلولا رغبته الملحة في التصالح معها لما تجرأ ولبس ثيابه الجديدة قبل الآخرين كان يريد دائما الظهور في آخر لحظة حتى يلت إليه الأنظار ، لكنه فعل العكس هذه المرة ولا يدري لماذا ؟

اجتاز عتبة السقيفة ، فوجد نفسه وسط الفناء وعيون الجميع ترمقه وتعال

أصوات الحاضرين بمختلف التعليقات

- " يا عبد الستار صحة ! ..

- " ووه ، اش بيك ما تعيدش ؟ "

- " ما أحلاها ، ما أحلاها كسوتك ، "

- " يا مي .. عبد الستار لبس ، وأنا ما زلت ، هيا لبستي عاد "

كان يستمع إلى الأصوات ولكنه لا يفهم شيئا ، بقي مشدوها فلم يتقدم خطوة ولم يقدم التهاني لأحد ..

توجه في شروود نحو غرفة خالته منوية ، فرفع (الإزار) وتخطى العتبة العالية فإذا بالعائلة الصغيرة مشغولة بوضع الحلويات في الصحون ، نظرت إليه خالته منوية وقالت : أهلا ، عبد الستار ، زوز تفضل ، لأوك مرة منذ أعلن القطيعة سمع صوته " عيدك مبروك خالتي منوية " وقبل خالته ، فناداه عمه الهاشمي قائلا : " عبد الستار إيجا ، عيدك مبروك ولدي " ،

- عيدك مبروك .

وسمع خالته منوية تقول لابنتها رشيدة : " قوم ، واحشم ، وعيد على خوك . فلم يعرف كيف قبل عمه الهاشمي ، ولا كيف أخذ منه (المهبة) ، وأحس بقلبه يخفق بقوة عندما اقتربت منه رشيدة وانحنى عليه قليلا لتقبله ، فطبع بدوره قبلة أولى على خدّها الأيمن وثانية على خدّها الأيسر .. وأحس بشعور لذيذ يسري في

كامل جسمه ويرش عروقه برداذ وردي عذب ، فنظر إليها نظرة حب فأعجبه شعرها المتهدل على جبينها وكتفها وتمنى لو قبّلها على شفّتها .

ابتسمت له ابتسامتها العذبة ، فظهرت أسنانها الصغيرة الحلوة ثم مسحت في حنان بيدها شعره ووجهه وقالت :

– " هيا قول لثاتاك ،، سامحني "

وانهار تحت رغبتها وأحس أن الماضي ذهب بأحزانه في غير رجعة فنسي الدموع والأشواك والحرمان وابتسم لها في خجل وقال :

– " سامحني ،، أنا أنا ،، نحبك "

وما أن قالها حتّى ضمته إلى صدرها بكلّ قواها وقبلته ثانية ، فتمنّى لو كان معها في خلوة حتّى ينهال عليها تقييلا وحتّى يشرح لها ما يعمل في قلبه الصغير من حب ولوعة بجمالها وسحرها ،، لكنه سكت مرّة أخرى ولم يقل شيئا ،،

" اسمع ،، ما نحبّش تتفشش ، واللّه واللّه ، واللّه إلّا ما نخذ لك مري تهبل ، فنظر إليها ولم يقل شيئا لم يسمع خالته منويّة عندما عرضت عليه قطعة بقلوة) وخرج من الغرفة يجرّ أذيال سعادة مققوضة .

ولم يعرف الجميع آنذاك ، لماذا نزع عبد الستار ثياب العيد مباشرة بعد أن خرج من غرفة أم رشيدة ، حتّى أمّه تعجبت من ذلك ودعت عليه وقالت : " شهر كامل وانت تمحر على كسوة جديدة ،،

" ونهار العيد نخرج كيف الطالّب قدام الناس ،، وتسأل بينه وبين نفسه : " الناس ؟ أما ناس ؟ "

وخرج إلى الشارع من جديد فجلس حزينا في مقهى الحي ينظر إلى الفراغ ويستعرض أحلامه الضائعة ،، متحسّسا جبينه ، لا يدري ما يفعل ... فحرك رجليه في الهواء ، وأخذ يصفر ./.

مجلة الإتحاف حاضر حافل ومستقبل واعد

بقلم : الأزهر النفطي

سَتُون عددا لل كبار وأربعون عددا للأطفال في الذكرى العاشرة لتأسيسها : تحت إشراف الأستاذ صالح البكاري وزير الثقافة وبحضور جمع غفير من كتّابها وقرّائها وأصدقائها نظّمت مجلة الإتحاف يومي 15 و 16 جويلية 1995 الدورة التاسعة للثقافة السنوي بمقرها الكائن بمدينة سليانة وذلك تحت شعار مجلة الإتحاف حاضر حافل ومستقبل واعد

وقد بذلت أسرة تحريرها مجهودات جبّارة لإنجاح الملتقى ولتكون العشرية الأولى للمجلة علامة مضيئة في درب مستقبلها الثقافي الواعد بالمزيد من الحضور والإشعاع داخل وخارج حدود الوطن

وقد تبيّن ذلك الجهد في الندوة الصحفية التي حضرتها هيئة تحرير الإتحاف وواكبها جمع من المشرفين على الصفحات الثقافية في الصحف اليومية والأسبوعية وقدم خلالها الأستاذ عبد القادر الهاني برنامج المجلة حاضرا ومستقبلا والإستعدادات المادية والمعنوية للإحتفال بعشرية الإتحاف وقد تمجّضت هذه الندوة الصحفية التي احتضنتها دار الثقافة ابن خلدون عن جملة من المقترحات العملية لعل أبرزها :

أ - تخصيص حيز زمني في الملتقى لأنشطة الأطفال الذين يعتبرون براعم اليوم وكتاب الغد الأفضل

ب - تخصيص محاضرة في كلّ ملتقى تنظم من قبل المجلة تتناول بالبحث أثرا من آثار أحمد بن أبي الضياف ذلك الرّمز أصيل ربوع سليانة الذي إستمدت المجلة اسمها من كتابه « إتحاف أهل الزّمان » .

ج - العمل على توزيع المجلة خارج حدود الوطن عن طريق سفاراتنا بالخارج للتعريف بمضامينها القائمة أساسا على الأدب التونسي المعاصر .

د - تشجيع رجال الأعمال بجهة الشمال الغربي وكذلك المؤسسات على الإشتراك بمجلة الإتحاف وتمويلها وتحسيسهم بأهمية القانون الصادر عن وزارة الثقافة ضمن مجلة الإستثمارات الموحدة والقاضي بالإعفاء بنسبة 17٪ من الاداءات الموظفة على المداخل .

وقد تشكلت لجنة عشرية الإتحاف من ثلثة حازمة من أعضاء أسرة تحريرها بمساندة اللّجنة الثقافية الجهوية بسليانة وفرع اتحاد الكتاب بولايات الشمال الغربي وإدارة مهرجان سليانة والمنشوية الجهوية للثقافة بولاية سليانة .

وقد تضمّنت فعاليات الدورة التاسعة للثقافة الإتحاف مجموعة من التظاهرات الفكرية والثقافية والإحتفالية تصدرتها ندوة فكرية نظمت في اليوم الأوّل من الملتقى تحت عنوان: العمل الثقافي وتأصيل التسامح - المجلات الثقافية نموذجا ..



حيث قدّمت خلالها محاضرتين حول النصوص الأدبية والمجلات الثقافية ركيزة من ركان نشر التسامح وتقارب الشعوب قدّمها كاتب هذه السطور ومضمون التسامح في مجلة الإتحاف قدّمها الأستاذ الحبيب الدريدي رئيس تحرير المجلة وقد شفعت المحاضرتين بنقاش ثري من قبل الحضور طرح خلاله مفهوم التسامح في العمل الثقافي ووضع فيه الرأي الفصيل بين مصطلح التسامح وماهو معروف بالتساهل في قبول النصوص ونشرها على صفحات المجلّات الثقافية حيث

شدّد الحاضرون على البحث عن النصّ الأرقى والأمتل الذي ينفع الناس ويمكّن في الأرض وقد ترأس مداولات الجلسة العلمية الأولى الدكتور أحمد الطويلي .



وفي اليوم الثاني من الملتقى نظمت مائدة مستديرة سيرها الاديب العراقي المعروف عبد الرحمن مجيد الربيعي وقد تمحور موضوعها حول استشراف مستقبل مجلة الإتحاف في عشرينيتها الثانية لتكون هذه العشرة عقد كدّ وجدّ وبذل وعطاء حيث فسح فيها المجال



للمشاركين الذين تقدّموا بجملة من المقترحات العملية لدعم مسار
المجلة لعلّ أبرزها الدعوة لإشراك كلّ الأصدقاء والأحباء في
مجلة الإتحاف ودعمها ماديا وكذلك تخصيص صفحات للإشهار
لتوفير مصادر جديدة لتمويل المجلة وأيضا دعوة وزارة التربية



لاقتناء مجلة الإتحاف والتشجيع على توزيعها لإثراء مكتبات
المعاهد والمدارس والجامعات الوطنية .



وقد تميّزت عشرية مجلّة الإتحاف بإضافات ملحوظة شدّت انتباه المشاركين في هذا الحدث الثقافي من أهمّها مجموعة المعارض التي جسدت مسيرة الإتحاف خلال عشر سنوات من الصدور والحضور منها :

- معرض الإتحاف وقطاف الإتحاف خلال عشر سنوات ، معرض الرسوم التي وشحت غلاف الإتحاف خلال عقد فاصل من الزمن ، معرض وثائقي تحت عنوان : « قالوا عن الإتحاف » جمع الكلمات التي كتبها أهل الثقافة والفكر والفن والأدب والصحافة حول مصادر مجلّة الإتحاف .

وفي لقاء الفرح الذي تزامن مع الجلسة الافتتاحية قدم الدكتور أحمد الطويلي للمشاركين في عشرية الإتحاف عرضا عن أعمال الندوة الفكرية التي انطلقت صباح الخامس عشر من جويلية 1995 تلتها كلمة الأستاذ عبد القادر الهاني مدير المجلة التي حملت ثوبا قشيبا من الزهور والرياحين وعبرت عن استعداد أسرة تحرير المجلة لمواصلة المسيرة في ظروف أفضل وحماس منقطع النظير . كما تحدّث الأستاذ بويكر بن فرج مدير إدارة التنشيط الثقافي نيابة عن الأستاذ صالح البكاري وزير الثقافة وعبر عن دعم الوزارة لهذه المجلة الجامعة . وجاء فيها بالخصوص :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات السادة والسيدات

ضيوفنا الأكارم

أيها الشباب الأعزاء .

أرحب بكم أجمل ترحاب وأستسمحكم في أن أعير - باسمي ونيابة عنكم عن جزيل الشكر وعظيم الإمتنان للسيد الوالي الأستاذ محمد رضا المقراني والسيد مدير إدارة التنشيط الثقافي الوطني الأستاذ : بو بكر بن فرج ممثل وزارة الثقافة في حفلنا هذا والسيد الكاتب العام للجنة تنسيق التجمع الدستوري الديمقراطي بسليانة الأخ محمد الهادي الوسلاتي والسيد معتمد سليانة ، رئيس بلدية سليانة والسيدات والسادة معلمي المنظمات القومية ورؤساء الإدارات الجهوية ولكل ضيوفنا أحباء الإتحاف ومساندي عملها أساتذة ومبدعين الذين جاؤوا من العاصمة ومن

مختلف جهات الجمهورية ، نحيبهم جميعا ونشد على أيديهم ونقول لهم لقد حللتم أهلا وترلتم ضيوفنا أعرءا على ملتقانا هذا الذي من أبرز فقراته الإحتفاء بمرور عشر سنوات من عمر مجلتكم مجلة الإتحاف الثقافية الجامعة التي كنا وسنضل نردد وبكثير من الاعتزاز بأنها مجلة سليانة تنطلق منها دون أن تتوقف عند حدودها ، بل هي تجاوزت حدود الوطن وما هي اليوم مبادرة ينتشر إشعاعها في البلاد الشقيقة والصديقة فالحمد لله والشكر لوزارة الثقافة ولجلس ولاية سليانة وبلدية سليانة ولكل الأصدقاء أحباء الإتحاف وكلهم « ساهم في تأصيل كيانها وتزكية عودها واخضرار أوراقها وتفتح أزهارها وانتشار أريجها عبقا منعشا فواحا . »

أيها السادة والسيدات

على امتداد سنواتها العشر أنجزت الإتحاف 60 عددا و 40 عددا من قطاف الإتحاف و9 ملتقيات عالجت فيها عديد المواضيع التاريخية والفكرية ونشرت عديد الكتب والمجموعات الشعرية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

أيها الملا الكريم :
« قد حان الموعد ، فتجهز مركب النور حيث نطلق اليوم شمعة ونوقد أخرى إيدانا بانبلاج صبح جديد يؤسس لعزيمة ثابتة بل لنقل لعشريات أخرى عنوانها كد وتطلع وفحواها انجاز ونماء . »

أيها السادة والسيدات :

إنه ليلذ لي أن أختتم كلمتي هذه بالتعبير عن خالص التحية وعظيم التقدير إلى جهاز الإعلام في البلد الأمن المكتوب منه والمسموع : الإذاعة الوطنية والإذاعات الجهوية والصحافة الوطنية وأخص بالذكر منها الملحق الثقافي لجريدة الحرية الغراء ولمنسق الشاعر الصديق عبد السلام لصيلع .

والواضح أن عشيرة الإتحاف كانت فرصة ثمينة لأصدقاء المجلة وقرائنها وكتابها جمعتهم تحت ضلال خيمتها وفي مقرها مثلما جمعت نصوصهم على صفحاتها .



دأبها حفزهم على المزيد من البذل والعطاء وتمكينهم من مواكبة تكريم نخبة من حملة القلم ساهموا بقسطهم الوافر منذ نشر العدد الأول من المجلة في تحقيق الأهداف المرجوة من بعضها نذكر من بينهم المرحوم البشير المجنوب الذي حضر شقيقه الدكتور عبد العزيز المجنوب وقدم له بكلمة بليغة مؤثرة وجدت صداها بين الحاضرين (1) الأستاذ عبد الستار الهاني والأستاذ عبد المجيد بن عمر والقصاص فاطمة سليم والقصاص ربيعة الفرشيشي والأستاذ البشير العربي ... كما وقع تكريم الشاب حاتم العبيدي الذي أشرى بنصوصه قطاف الإتحاف



الطفلة : وهاء الغرياني وكذلك كَرَّمَت الإتحاف تلاميذ مركز والي بصفاقس أين تصدر مجلة المنار التي تعنى بكتابات الأطفال تحت إشراف الشاعر المربي الحبيب دربال .

وقد تَوَجَّت عشرية الإتحاف بسهرة الشعر والموسيقى مع ثلثة من شعراء تونس برفقة عازف العود القدير الفنان العراقي نصير شمساً التي شدّت الحضور وصَفَّق لها طويلاً باعتبار مادتها الثقافية الراقية التي ساهمت في نجاح الملتقى .

جوائز في الشعر والنقد :

من مبادرات عشرية الإتحاف رصد جوائز لمسابقة في الشعر والنقد فسحت المجال لمختلف الأعمار للمشاركة فيها بنصوصهم وكانت المفاضلة المحبذة من هيئة تنظيم الملتقى تنهض على تشجيع الشعر التونسي والدراسات النقدية التي تناول بالبحث أصحابها كتباً تونسية في مختلف المجالات الأدبية وقد فازت بجوائز المسابقة مجموعة من الشباب الواعد بالإضافة والكلمة الهادفة ...

* تقرير لجنة التحكيم :

إن لجنة تحكيم مسابقة مجلة " الإتحاف " للشعر والنقد الأدبي المجتمعة يوم السبت 15 جويلية 1995 تتقدم بجزيل الشكر لجميع الشعراء والدارسين والمبدعين الذين تقدموا بنصوصهم إلى مسابقتها التي تنظمها بمناسبة الاحتفال بمرور عشر سنوات على تأسيسها .

ويعد الاطلاع على كل النصوص المشاركة تودُّ اللجنة تقديم الملاحظات التالية :

(1) إن لجنة التحكيم كانت تنتظر أن تكون المحاولات المترشحة على درجة أفضل من حيث شكلها ومحتواها وأن تفصح عن عناية أصحابها بتجويد نصوصهم واهتمامهم بتقديم محاولات لا تخلو من طرافة وعمق .

(2) رغم بعض النقائص الفنية التي لاحت في العديد من النصوص – تشد اللجنة على أيدي جميع الشعراء والدارسين الذين شاركوا في المسابقة وبحضور فعاليات الملتقى وتعبّر عن تفاؤلها بما يمكن أن تبلغه نصوصهم من جودة واتقان متى ما جئوا في امتلاك الأدوات الفنية الضرورية للكتابة الشعرية والنقدية .

3) وتؤكد اللجنة في ختام تقريرها أنها تعاملت مع نصوص مجردة لا مع أشخاص ، وأنها لم تضع في الإعتبار قدم تجربة أصحاب النصوص أو أحداثها ... وقد حاولت قدر المستطاع أن تكون أقرب ما يمكن إلى الإنصاف ، وبناء على ما تقدم ، كانت النتائج كالتالي :

— جوائز النقد الأدبي :

* حجت الجائزة الأولى لغياب نص نقدي متماسك وواضح المنهج .

* أسندت الجائزة الثانية لأحمد الحاجي عن دراسته : " عناصر البنية الإيقاعية في مجموعة الهادي العبدلي الشعرية : طقوس الشك "

* أسندت الجائزة الثالثة مناصفة بين محجوبة الجلاصي عن عرضها للمجموعة الشعرية المعنونة بـ " مرأة وامرأة والبحر " للمياء بلحاج " ويلقاسم برهومي عن دراسته : " ظاهرة القلق في أدب الشباب من خلال نصوص مختارة من مجلة " الإتحاف " .

— جوائز الشعر :

* أسندت الجائزة الأولى بالتساوي للشاعرين : محمد الهادي الجزيري عن قصيدته " ما أكثرني في جسدي الواحد " ورخيم الجماعي عن قصيدته " الكلام الحرام " .

* وأسندت الجائزة الثانية بالتساوي بين محمد الهادي الوسلاتي عن قصيدته : " صدر بلع في ملاعب الصولجان " والمكي الهمامي عن قصيدته " عينك " .

* وأسندت الجائزة الثالثة مناصفة بين علي السعيدني عن قصيدته " فصل من قلق " ومنصف الكريمي عن قصيدته " أسئلة عابرة " .

وقد ارتأت لجنة التحكيم المترتبة من : " الأستاذ حبيب الدريدي (رئيس اللجنة) والشاعر عبد السلام لصيلع (مقرر اللجنة) والأعضاء الهادي العبدلي وخليفة الخياري والعباشي طاع الله تخصيص جائزة تشجيعية متمثلة في مجموعة أعداد مجلة " الإتحاف " للمبدعة الناشئة إيمان الجربي عن قصيدتها " أنين الحقيقة " في إطار سعي أسرة التحرير الدائم لاكتشاف المزيد من الطاقات الإبداعية ودعم انخراطها في النشاط الثقافي .

الإتحاف ورهان الثقافة

بقلم : سمودة أبو بكر



لأنّها راهنت على ضمير الأمة
أو ليس الأديب أو المفكر ضمير أمته ؟
ولأنّها راهنت على الكلمة الصادقة الجميلة ،

ولأنّها راهنت على أسس الحضارة ألا وهي الثقافة . أمكن للإتحاف أن تثبت وتمتد
عروقه موزغة في تربة العطاء الثقافي وتسجل حضورا اكتسبته من إيمانها بما
للثقافة من أثر في تقدّم أيّ شعب

عشر سنوات من العطاء

عشر سنوات من الإفادة وخدمة الإبداع ، لم تمرّ بالسهولة التي يمكن أن يتصور
المرء ...

كانت الطريق شائكة غير أنّ الخطى الدؤوبة مصرة على المضي ...

ومع نبض العصر تغيّرت الظروف ، أصبحت الكلمة المكتوبة تنافس كاشد ما
تكون المنافسة من قبل الوسائل السمعية البصرية والتقدّم الذي عرفه ميدان
الإعلامية وشريط السيديروم بكل إغرائاتها المعرفية .

إنّها - وهذا لا يختلف فيه عاقلان - تهدّد المادة المقروءة بكلّ ثقلها .

فأنّ تثبت على الساحة في هذا الإطار مجلة ثقافية أدبية لأمر يدعو إلى التنبؤ
والإعجاب ثم المساندة وشدّ الأزر .

لقد أثبتت " الإتحاف " أنّها كانت في مستوى رسالتها ومسؤوليتها وحققت
عشريتها الأولى وهي الآن تتأهّب لمرحلة جديدة تختلف عن الماضية فالمنظور
الثقافي مغاير علاوة عمّا يُخطّط لسير الثقافة في بلادنا كما في بلدان أخرى من
مناهج جديدة .

والسؤال الذي يطرح نفسه :

هل بإمكان مجلة " الإتحاف " في ظلّ هذا المنظور الجديد مواصلة إشعاعها ؟
أقول من منطلق القارئة للإتحاف والمجلات الثقافية الأدبية على قلّتها في بلدنا ،

وأقول من منطلق الكاتبة التي ما كان لقلمها أن يبرز ولو هبتها أن تُسَقَّلَ لو لا هذه
المجلّات المشار إليها : لابدّ للإتحاف من المواصلة . إنّها وكلّ المجلّات الثقافية
جديرة باهتمام خاص فهي غير المسرح وغير السينما وغير المهرجانات
الإستعراضية الفنية لا من حيث الأهمية بل من حيث الإقبال والرواج ... صحيح
أنّها غير ذات مردود مادّي ولكن وهنا أضمّ صوتي إلى كلّ من يوافق الدكتور غالى
شكري في مقال له (1) قال فيه : « إن مردود الثقافة لا يتحقّق بالعائد إلى
الخزينة من الأموال وليست هناك مجلّة ثقافية في العالم تحقّق ربحا ماليا .
المردود الثقافي ليس ربحا ماديا وليس ربحا سريعا لا في بلادنا ولا في بلاد
غيرنا .

إنّه أحد عناصر بناء الأوطان والحضارات عبر بناء البشر . وهو البيئة الخصبة
لإستنبات المواهب ورعايتها بالنمو ، وإلا فإنّ ملايين المواهب من الممكن أن تولد
وتموت في صمت . ولم يكن مستحيلا - لو أتيت لها الفرصة - أن يظهر فيها
عشرات من نجيب محفوظ وطه حسين وأحمد شوقي ويوسف إدريس وغيرهم من
صنّاع رأس المال الحقيقي الباقي لنا . أعني الثقافة »
نحن إذن نحتاج إلى أن يظلّ دم الحياة نابضا بشريان مجلّتنا الثقافية والأدبية
بإيجاد سياسة دفع جديدة تبحث في قضايا نشرها وتوزيعها وخدمتها إشهاريا
حتّى لا تفتر وتكلّ عزائمها .

مجلّة الإتحاف ناضلت من أجل البقاء ولابدّ أن نشيد بذلك إحقاقا للحق وهي
جهويّة الصنوبر بيذا أنّها عامّة الإشعاع تصل في مواعيدها إلى الأكشاك وهذا
وحده يُحسب لها وليس الفضل في ذلك لعصا سحرية بل لجهود تذكر فتشكر
لرجالات يقدّرون الكلمة وأصحاب القلم رغم إحباطات المادّة وأشياء أخرى
فعميد العمر يا تحفة القلب .

(1) مقال صدر بصحيفة أخبار الأدب المصرية العدد 97 من شهر ماي الجاري بعنوان « لا
لخصخصة الثقافة »